انجلترا في مصر

او

مصر قبل الاحتلال وبعده

ينقسم الى قسمين

(القسم الاول)

مصر في عهد المماليك

ابادة المماليك

انشاء مصر الحديثه

محمد على يفتتح الامصار

ائتلاف الدول على مصر

(القسم الثاني)

الثوره العرابيه . الثوره المهديه . تاليف الحزب الوطني والدسائس المصريه . الخديوي عباس حلمي والدسائس الانجليزيه . ثورة سنة ١٩١٩ . حوليات مصر السياسية الى سنة ١٩٢٨

فاجعة الامة بموت زعيمها

بقلم البحاثه صاحب العزه

احمد بك شهاب

نقدم اليوم لحضراتكم تاريخ مصر الحديثة لتطالعه الاجيال تلو الاجيال والذى كلفتنى بوضعه اللجنه الفنيه وقامت بنشره تباعا تحت عنوان (تاريخ الحركة الوطنية) . وتقدمت جميع الاعداد التى قامت بطبعها وقرروا اعادة طبعها للمرة الثانية فاشرت عليهم انه يكون اسمه مطابقا لمسماه واطلقت عليه (انجلترا فى مصر) نعم اننى حمدت الله اذ وجدت الامه واضعة نصب عينيها الالمام بتاريخها نعم لا يمكن لفرد من الافراد عالم او متعلم ان يعيش فى بلاده ويأكل من خيراتها ولا يكون ملما بتاريخها وهاهو المحتل قد قام يثبت قدمه فى اوطاننا فمن مطالعتكم لهذا التاريخ تعلمون كيف كانت مصر فى عهدها الماضى. وكيف تمكن الاجنبى من تثبيت قدمه فيها واذا بحثنا عن الحقيقة نجدها من الخونه ولولا هؤلاء الخونه من المصريين ما امكنه البقاء فيها يوما واحداً وها هو التاريخ شاهد عدل على ماصنعوا والسلام ؟

محمد شهاب



فقيد الامه والوطن المغفور له مصطفى كامل باشا



فقيد الامة المصرية محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى الثانى



الابطال فى مالطه : من اليسار الى اليمين سعد زغلول باشا ، اسماعيل صدقى باشا ، محمد محمود باشا ، حمد الباسل باشا



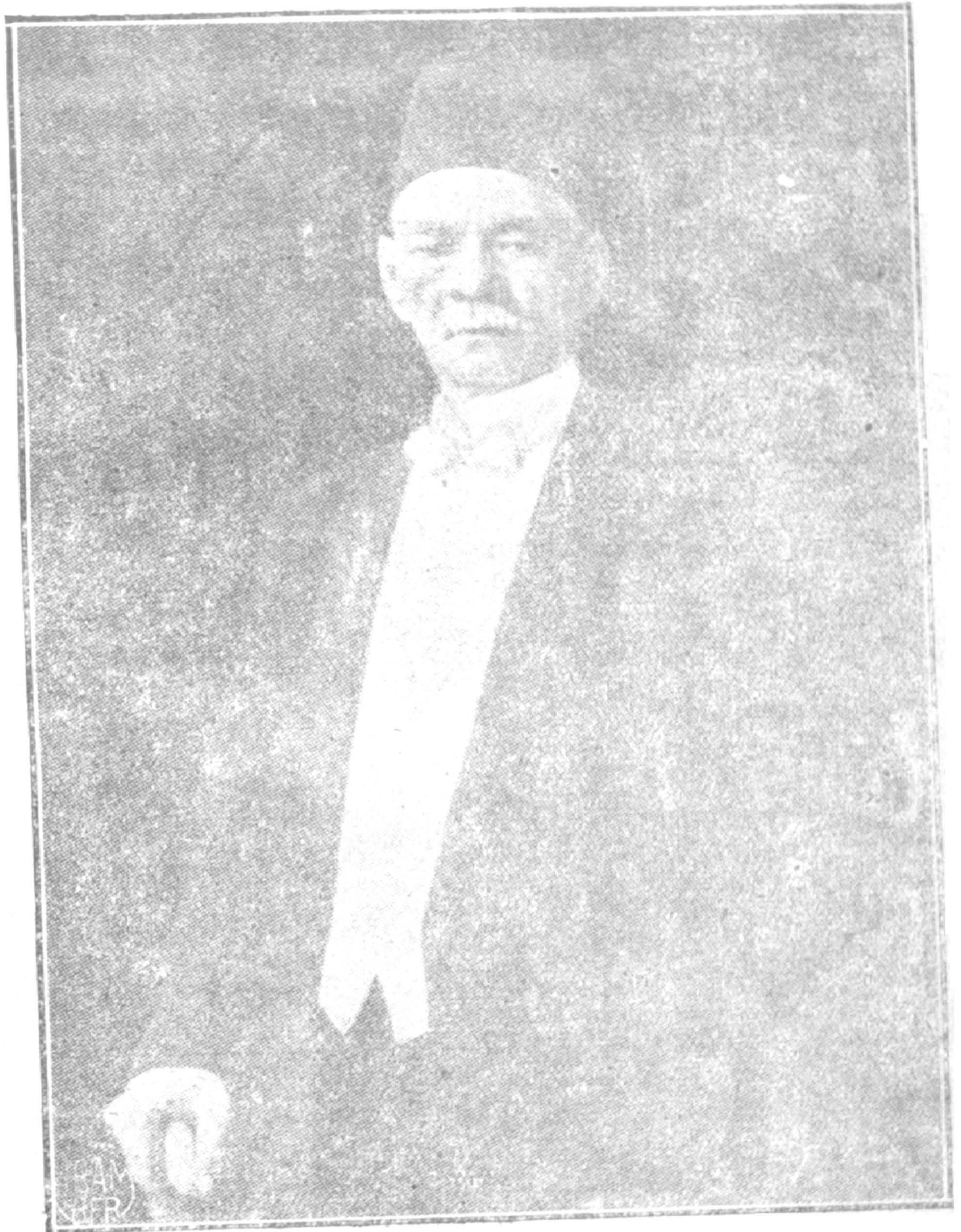
صورة تاريخية للزعيم الجليل وهو يخطب فى شرفة بيت الامة عند عودته من منفى سيشل



﴿ ساكن الجنان المغفور له السلطان حسين كامل ﴾
الذي في عهده تغير نظام الحكومة المصرية من خديوية الى سلطنة

بطل الاستقلال . وعدو الاستعمار فقيد الشرق صاحب الدوله

سعد زغلول باشا





سلاطين آل عثمان



جلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر والسودان واهب الحرية ومانح الاستقلال



❊ جلالة الملك فؤاد جالسا على العرش بمجلس النواب ❊

اخذت فى عهد الوزارة السعدية وسعد باشا يلقى خطبة العرش



المغفور له الحاج محمد على باشا مؤسس العائلة العلوية الكريمة ومنشيء الحركة الوطنية وواضع أساس استقلال مصر

زعيم الثورة العرابية



المغفور له احمد عرابي باشا .



الزعيم الجليل قاضيا



الفقيد وهو محامى



الزعيم الجليل وهو
رئيس مجلس النواب

الاهداء

الي الوطن المقدس

اليك أيها الوطن الكريم أتشرف باهداء (تاريخ الحركة الوطنية وهو مستخرج من ينبوع فضلك . كيف ومنك استمد محمد علي ـ مصطفى كامل ـ محمد فريد ـ سعد زغلول ـ قوة الذود دون حقك المسلوب . وفي سبيل حبك ضحوا حياتهم الشريفة في سبيل واجبك . ثم انهم رفعوا ذكراك ونهضوا لك

اقدم لك اليوم سيرة اعمالهم ليتمكن ابناؤك لاتمام عملهم على منوالهم

اقدم اليك أيها الوطن من اخترتهم لخدمتك فكانوا خير امناء لك لآخر نسمة من حياتهم واطلب منك الصفح والسماح اذا ظهر مني ضعف في قلمي . لان المهمة التى القتها اللجنة على عاتقي مهمة شاقة وخصوصا على مثلي ولكني لاجلك أقوم اكتب لي الشرف الاكبر بالخوض في ذكر الاربعة الابطال الامناء ومن انضم اليهم والتف حولهم من ابنائك البررة اصحاب القلوب القوية

ختاما لك سلامي واخلاصي ايها الوطن العزيز

ابنك البار احمد شهاب

نبذة من تاريخ
منشيء الحركة الوطنـ..

محرر مصر العظيم ـ محمد على باشا الـكبير

ولد محمد على باشا فى بلدة قوله من اعمال الروم فى سنة (١٧٧٨ ميلاديه) وقيل أن اباه ابراهيم كان من صغار مقدمي العسكر وقيل أنه كان شيخ خفراء البلد . وعلى هذه الروايا هي الاصح

وقد مات والده ولم يبلغ الرابعة من عمره فتولى أمر عمه طوسن ان قتل بعد قليل بناء عن أمر الباب العالى

ولما كان محمد على حينذاك طفلا يتيما لا أ . . . له لا ناصر قام بتربيته رجل من أعيان قوله اسمه « براواسطه » فاقام محمد على عنده حقيرا مهانا ومضى فى الحياة يتيما ذليلا فكلما شب يوما شبت معه الاحزان عاما وقد حكي عن نفسه فقال (كنت أتمني أن يدفع الله سبحانه وتعالي عن هذه الشدائد ويرحم

مما لاقيه من الفتك والذل فكنت أجهد النفس فى طلب العيش على قدر الحاجة . وكان يمر بي اليوم واليومان أطوى الارض سائرا علي أقدامي لا اذوق مناما ولا طعاما وكانت الارض وطائي والسماء غطائي . واتفق اني سافرت على ظهر مركب أريد أرض الله الواسعة فى طلب العيش فهبت ريح شديدة وارتفعت الامواج وعلت واضطرب الخضم مزبداً . وارتطمت السفينة بالصخور فتحطمت وغرق كل ما فيها فتركني رفاقي وصعدوا الي بعض الجزائر القريبة وبقيت تحت رحمة الامواج تعلوا بي تارة وتهبط أخرى وتستقبلني الصخور فتدق عظامى . وتدمي جسدى حتى يسر الله لي الوصول الي تلك الجزيرة سالماً . وقد صارت اليوم من بعض املاكي فسبحان المعطى بغير حساب)

وعلى الرغم من حسن معاملة براوسطه له لما كان بينه وبين والده من الصداقة واتخاذه اياه كأنه واحدا من أولاده الا انه كان يشعر بحالة اليتم وكثيراً ما حدث اخصائه بعد ارتقاء ذروة المجد عما لاقاه من الذل حيث كان يقول ولد لابي سبعة عشر ولداً لم يعش منهم سواى . فكان يحبني حبا كثيراً

ولا يغفل عينه عن حراستي كيفما توجهت ثم توفاه الله فأصبحت يتيما قاصراً وأبدل عزى ذلا وكثيرا ما كنت اسمع الناس يكررون هذه العبارة التي لا انساها عمري وهي :

ماذا عسي أن يكون مصير هـذا الولد التعيس بعد ان فقد والديه . وقد كان هذا القول يهتاج مشاعري فأحس بقوة تحركني الي النهوض من تحت هذا الذل فاجهد نفسي في أي عمل يمكنني معاطاته بهمة غريبة حتي كان تمر احيانا يومان وأنا أسعي بغيرما أكل ولا تعرف عيني السهاد مذاقا

ومضي الزمن ومضي على هذه الحال معه الي أن بلغ الثامنة عشر من عمره فانتظم في سلك الجندية . وسرعان ما بدت عليه علامات الشهامة وظهرت بوادر بأسه فوكل اليه الوالي جباية الاموال . وجمع الخراج ومال اليه بكليته وقيل أن زوجه احدي قريباته فولدت له خمسا من بنين و بنات وهم . ابراهيم وطوسون واسماعيل وزهره وزينب ولما كبرت عائلته ترك خدمة الجندية واتخذ له حانوتا يبيع فيه التبغ ابتغاء سعة الرزق فيسر الله له الحال . وبسط له في الرزق

وكانت قد بلغت به الشجاعة الى حد أن أصبح تضرب

به الامثال . وكثيراً ما عهد اليه الوالي بالقبض على الجناة كلما
... ذلك وسرعان ما يأتي بهم صاغرين خاضعين

ذلك كان شأنه حين أرسل الباب العالي يطلب من مقدونية نجدة عسكرية يجردها لدفع عن مصر التي أغارت عليها جيوش الفرنسيس بقيادة بونابرت

وقد كان ضمن النجدة ثلاث مئة مقاتل جمعهم « براً واسطه » وجعل عليهم ولده على أغا قائدا ومحمد علي مساعدا

فسارت تلك الكتيبة المكدونية برفقة العمارة العثمانية تحت قيادة حسين قبطان باشا الى أبي قير ولكن الفوز كان للفرنساويين فترك على أغا كتيبته بعد أن عهد بها لمحمد على وعاد الى بلاده . فارتقى محمد على الي رتبة بكباشي . ثم كانت محاربة العمارة الانجليزية وتقدمها الي القاهرة في النيل والعساكر العثمانية تحت قيادة الصدر الاعظم في البر من جهة الشرق فانتصرت على الجيوش الفرنساوية

فلما انسحبت الجيوش الفرنساوية ثم تبعتها الجيوش الانجليزية . احتلت مصر الجيوش العثمانية وكانت مؤلفة من أربعة آلاف من الالبانيين « الارناؤط » الاشداء وكان

المماليك لا نزالون يحاولون الاستقلال فى الملك ولم يتقرر لديهم اذا كانوا ينالون هذه البغية أو ان مصر ستعود بعد الحملة الفرنساوية تحت سلطة الباب العالي كما كانت قبلها . أما الباب العالي فكان يرغب أن تكون حكومة مصر بيد من يرسله اليها من وزراء الدولة فنهي عن اعطاء المماليك القوة العسكرية وتطورت الاحوال فى مصر تطورات سريعة . ولم تحن فرصة الا وانتهزها محمد على الى أن كان يوم الخميس ٢ مايو سنة ١٨٠٥ حين ورد الخط الشريف بتولية محمد على ولاية جدة فبعث اليه خورشيد باشا والي مصر فى ذلك الحين وقلده الولاية وألبسه الفروة والقاووق المختصين بهذه الرتبة فخرج يريد الركوب فثارت العساكر وطالبوه بالملوفة فقال لهم — ها هو الباشا العظيم عندكم فطالبوه وسار قاصدا بيته بالازبكية وصار ينثر الذهب علي الناس طول الطريق فازدادوا له حبا واعتباراً ونحو رشيد باشا كرها واحتقاراً وفي يوم ٦ مايو (سنة ١٨٠٥ ميلاديه) مل اهالي البلاد من معاملة خورشيد باشا فسار علماؤهم ومشايخهم وأئمتهم ورؤساء الجند الى محمد على وقالوا له نحن لا نريد هذا الباشا حاكما علينا — قال ومن

تريدون اذا ؟ قالوا الا نرضي الا بك تكون واليا علينا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير فامتنع اولا ثم رضي وأحضروا له كركا وعليه قفطان وقام اليه السيد عمر والشيخ الشرقاوي فألبساه ثم بعثوا الي خو رشيد باشا بذلك فقال (اني مولى من السلطان فلا اعول بأمر الفلاحين ولا انزل من القلعة الا بأمر من السلطنة فحاصروه فيها وقد انحازت جميع القوات العسكرية من الارناؤط والدلاة لمحمد على الا قليلا . وكتبوا بالاشتراك مع العلماء والمشايخ الى الباب العالي يطلبون تنصيب محمد على عليهم وأصروا وما زالوا حتي صدرت الارادة السنية بفرمان وصل القاهرة في يوم الثلاث ٩ يوليو سنة ١٨٠٥ فقرأوا الفرمان فى بيت محمد علي بحضور كل الأعيان والمشايخ

(الافراح فى مصر)

وما كاد يتصل خبر تولية محمد علي للمصريين وسقوط خورشيد باشا حتى استولي عليهم الطرب وأقاموا له الافراح وورد خطاب من الباب العالى الي محمد على باشا بالتوصية على احمد خورشيد باشا المعزول وابقائه بالاعزاز والاكرام حتي يأتيه الامر العالى بالتوجه الي بعض الولايات

ومذكور فى هذا الخطاب أن خورشيد باشا يكون بالاسكندرية فلم يمتثل للامر العالى وتحصن بالقلعة فقام اليه محمد على باشا وحاصره بها وحفظاً بوابها بعساكر الارنؤط فلم يكن غير قليل حتى جاهروه بالعصيان وكانت حجتهم في ذلك عدم صرف مرتباتهم ولكن الحقيقة لم تكن مسألة مرتبات ولكن لاخلاصهم لخورشيد باشا فكانت قوة ارادة محمد سعيد باشا وافكاره السامية تفوق هذه القوة فشرع فى استمالة قلوب العلماء وأصحاب الكلمة والنفوذ كالشيخ الشرقاوى والسيد عمر مكرم : فكان بواسطة اتحاده معهم الف جيشا مصريا يحمل النبابيت بدل السلاح . وفى هذا الوقت انتشر العساكر الارناؤط في شوارع وحارات القاهرة ينهبون ويسلبون

ولما علم الباب العالى بذلك أرسل قابوجى من الدولة ومعه أوامر لاحمد باشا بعزله . فلم يمتثل لهذا الامر أيضا واستمر على عناده . . وبعد قليل حضر قبطان باشا ومعه أوامر الباب العالى بخلعه فلم يمتثل أيضا . . . وأراسل الى امراء الوجه القبلى وطلبهم لمساعدته فوقعت بعض المراسلات بيد محمد على باشا فأخذ حذره منهم . وبعد مدة أيام حضروا الى الجيزة واحتاطوا بمصر . وتوجه بعضهم الى الشيخ الشرقاوى . والسيد عمر مكرم وعظماء الامة المصرية اصحاب الكلمة المسموعة يدعونهم الى نجدتهم والاخذ بناصرهم فلم يقبلوا منهم . فعلم محمد على باشا بكل ذلك فأرسل جنداً لضبطهم . . . فادركوا الخبر فارادوا الفرار ففر منهم جانبا وقبض على خمسين منهم فأحضروهم الى دار محمد على باشا بالازبكيه ففرح فرحاً شديداً . وكافأ الجند الذين قبضوا عليهم بالعطايا الوافرة . وأحضر جزارى مصر وأمرهم بذبحهم فشاع هذا الخبر فى جميع انحاء القطر المصري فهاج الاعداء ولما علم احمد باشا بهذا الخبر أيقن ان جميع ما دبره قد ذهب

سداً . فخرج بعسا كره العصاة هاربين علي وجوههم ... وانتشروا في الجهات البحرية ينهبون ويسلبون فعلم بذلك محمد علي باشا فوجه خلفهم حسن باشا الارناؤطي ومحمد بك المبدول . وعمر بك الاشقر بعسا كرهم فأجلوهم عن البلاد وأعادوا كل ماسلبوه ففروا هاربين الى الشام

مصر فى ذاك العصر

وكان أهل مصر فى هذا الحين ينظروا الى هذه الحالة بقلق شديد لان الارناؤط كانوا ينهبون البيوت ويحفظون مايعثرون عليه من البضائع حتى بسبب هذه القلاقل والمداهمات ارتفع ثمن المواد الغذائية ارتفاعا لامثيل له . ورغما من كل ذلك كانت لاتوجد الا بكل مشقة . وكأن الله عز وجل أرسل محمد علي باشا لانقاذ مصر اذ لولاه لكانت هذه الامة فى حالة العدم

ثم أنه تفكر فى هذه الشدائد بعين الحازم اليقظ فجمع حوله العلماء وكبار تجار القطر المصرى لحل هذه الازمة وفعلا انتهي منها بعد أن تنازل عن ثلثى الضرائب

ويأخذ المال يصرفه على العساكر ... وطلب من المديريات أموال سنة ١٨٠٦ مقدما

وكان المماليك لايزالون منتشرين في جهات القطر يحكمون ويستبدون . وكان زعيمهم (محمد بك الالفى) مقيما بالصعيد . وقد التف حوله جمهور من المماليك وحالما علم بتولية محمد على باشا نزل بفرسانه طالبا خلعه . وتخابر مع خورشيد باشا ليساعده في ذلك وتعاهدا انه اذا فعل ذلك أعاد اليه مقاليد الحكم ويكون بعد ذلك خاضعا لاوامر الدولة العلية اذا كانت تقبل خلع محمد على باشا .

اتفاق الالفى مع الانجليز

وكان الالفى قد سافر الى دولة انجلتره ووعدها انها اذا عضدت مشروعه يكون مستعداً لتسليمها أبواب القطر المصرى ... وكانت الحكومة الفرنساوية في ذلك الحين يقظى لما تسماه فحصل في نساق انجلتره فعرقل مسعاه واتفق معه على مصالحة محمد على باشا فحصلت المخابرات فلم يتفقا فعاد الالفى أدراجه الى مصر. وتوجه الى السفير الانجليزي في مصر واعلمه بالاتفاق الذى كان بينه وبين انجلتره فعاهده على المساعدة وما كاد يخرج الالفي من دار السفير الا وطلب السفير من الباب العالى النيابة عن دولته ارجاع سلطة المماليك الى البلاد وتعهد بأمانة الالفى وخضوعه لاوامر الباب العالى فقبل الباب العالى بذلك. واصدر امراً عاليا بالعفو عن جميع المماليك باسم زعيمهم الاكبر الالفى. فوصل الامير موسى باشا الذي حضر بعمارة عثمانية. ومعه أمر من الباب العالى بتنصيبه واليا على مصر. وأحضر معه عساكر منظمة على الانظمة الحديثة ومعه خطاب الى محمد على باشا ان يغادر

القطر المصري ويستلم ولايته بسلانيك . وأن يعيد المماليك الى مراكزهم في الامارات والاحكام فأخذ محمد على باشا هذا الامر بالحزم والحكمة وكانت العلماء والاعيان والاهلين جميعا وبعضا من المماليك فانضموا اليه وكتبوا عرائض وأمضوها بتثبيت محمد على باشا فى ولاية مصر وارسلوا واحدة منها الى الباب العالى بالاستانة واخرى الى قبطان باشا قائد العمارة التى اتت بموسى باشا والى مصر

فلما علم سفير فرنسا فى مصر بهذا الخبر خابر سفارة فرنسا بالاستانة عن نيات الالفى مع الانجليز واوعز اليه بالسعي المتواصل لتثبيت قدم محمد على باشا في مصر

لم تكن الحكومة الفرنساوية تسعى سعيها هذا في سبيل مصر ومصالحها . وانما كان ذلك في سبيل الاستعمار ومصالح فرنسا فى مصر لانها ما كانت تعتقد ان محمد على باشا ينهض بمصر هذه النهضة العظيمة التى ادهشت العالم بأجمعه

* * *

لما استلم قبطان باشا قائد العمارة التركية العريضة التى ارسلها عظماء مصر اليه راى أن رأيهم هذا أقرب الى الصواب

فكتبت اليهم أن يبعثوا بهذا الطلب مع ابن محمد على باشا (ابراهيم بك) وانه مستعد أن يأخذ معه فى العمارة العثمانية الى الاستانة فقبل محمد على باشا هذا الاقتراح وارسل ابنه (ابراهيم بك) بالطلب. وفعلا بارحت العمارة العثمانية ميناء الاسكندرية تحمل على ظهرها موسى باشا وابراهيم بك

وفي أواخر شهر نوفمبر سنة ١٨٠٦ وردت الاوامر الشاهانية بتثبيت محمد على باشا فى ولاية مصر. مع الايعاز اليه بعدم التعرض للماليك. فلما علم المماليك بذلك حزنوا حزنا شديداً. وفى الشهر التالى لولاية محمد علي باشا مات عثمان البرديسى من شدة حزنه وغمه. وبعد خمسة شهور مات محمد بك الالفى. فذهب زعيمان من أكبر زعماء المماليك فاجتمعت بعد ذلك المماليك وولوا عليهم شاهين بك رئيسا الا أنهم كانوا في حالة هادئة. وبذلك خلا الجو لمحمد على باشا

الانجليز ضد محمد علي

لقد اظهر لنا التاريخ حقائق ثابتة أن الانجليز لا يكرهون الا كل مخلص لبلاده . ولم يكن موت الألفى قد اثنى الانجليز عن عزمهم نحو مصر . . كلا . لان الحكومة الانجليزية اعتبرت تثبيت محمد على فى ولاية مصر مخلا بنفوذها . ومضراً بمصالحها فجردت حملة عسكرية تتألف من ثمانية الاف مقاتل تحت قيادة الجنرال (فريزر) لارجاع سلطنة المماليك وكانوا قد تبعثروا فى البلاد وفي اثناء ذلك صدرت الاوامر من الدولة لمحمد على باشا بالاحتياط وحفظ الثغور خوفا أن تداهمه دولة الانجليز على غرة فان مراكبهم أخذت تجول فى البحر الابيض المتوسط — ولا يعلم ماذا تقصد وفى محرم سنة ١٢٢٢ هـ ورد الخبر لمحمد على باشا بوصول البارجة الانجليزية وأخذها ثغرى الاسكندرية ورشيد وأن الانجليز راسلوا المماليك لينضموا اليهم وأفهموهم انهم ما حضروا الا لنصرتهم . فأخذ محمد على بالاستعداد وبناء الاستحكامات وساعده على ذلك قنصل دولة فرنسا

لما بين دولته ودولة الانجليز من العداوة والشقاق فقام لمحاربتهم بجيشه المصرى فهزمهم شر هزيمة وفي هذا الوقت ابتكر اعلانا لم يكن قد ابتكره احد من قبل اذ عرض اربعمائة وخمسين رأساً من الرؤوس البريطانيه في جهة الازبكيه فدقت الطبول وزينت المدينة بمناسبة هذا الانتصار وارتفع اسم مصر عاليا فى الخافقين فكان محمد على بالحقيقة هو الذى اعاد لمصر مجدها وفراعنتها العظام — وبعد قليل حضرت الجيوش الظافرة ومعها اسرى الحرب وكان لدخولهم يوم مشهود وأمر محمد على باشا بمعاملتهم بالحسنى ورتب لهم ما يكفيهم وكانوا قد قطعوا جسر أبوقير لقطع المواصلة بين ثغر الاسكندرية وداخل القطر فعم الماء أغلب بلاد البحيره وأخرب بلادها واتلف ارضها وكرومها واعدم منها نحواً من مائة واربعين بلدا بقيت الى الآن وهى ماتراه حول ادكو وبحيرة المعديه الى المحموديه وما جاور بحيرة مريوط ممتداً الى القرب من دمنهور ولما وجد الانجليزية أن قوة محمد على باشا غير ما تظن قبلت الصلح منه وانسحبت الجيوش الانجليزية فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ ميلاديه

واستتبت القوة لمحمد علي باشا وقد رضي جلالة السلطان محمود عنه ودخلت الاسكندرية في ولايته ثم سعى بعضهم في المصالحة بينه وبين المماليك فتمت بقدوم جاهين بك الى مصر بالهدايا الثمينة فاكرمه محمد علي وبنى له قصراً نفيساً لسكناه في الجيزة ثم تبادلوا الزيارات وكل علائق المودة وهكذا فعل سائر المماليك

فلما رسخت قدم محمد علي بمصر أخذ في تنظيم الحكومة تنظيما يضارع الدول المتمدينة الراقية وكان شديد المحبة لاقربائه وكانت اكبر الوظائف لهم

التطور السريع في مصر

بعد حصول هذه الحوادث شمر عن ساعد الجد في خدمة بلاده واصلاحها فترك الاديان في حرية تامة ثم انشأ الطرق وحصن الشواطيء ونظم الحصون والاستحكامات وحفر الترع وأصلح ميناء الاسكندرية وبنى القناطر الخيرية ورقى الزراعة وأدخل زراعة القطن الذي جلب ثروة هائلة للقطر واعتنى بالصناعة فشيد المعامل . واسس البنوك

فكان هو من أول من وضع الحجر الاساسى للتعليم فجاب كبار الاساتذة من الغربيين ونظم حكومة عادلة متبعا في ذلك الانظمة الاورباوية

فانشأ الديوان الخديوى بالقلعة وكان يجتمع برياسته وينوب عنه الكختداى بك وكانت وظيفة هذا الديوان النظر فى القضايا البسيطة التى يخففها ضابط القاهرة (كالحكمدار الآن) فى مراكز البوليس ثم يرفعها الى الديوان لصدور الحكم فيها. أما القضايا الكبرى فقد كانت تقدم للقاضى الشرعى لفحصها وصدور الحكم فيها فكان هو واهب مصر الحرية بعد حكم الاستبداد ثم أسس مجلسين مجلس الشوري الملكى وكان أعضاءه بين ثلاثين أو أربعين عضوا ينتخبون بواسطة العلماء والاعيان . وكانت وظيفتهم النظر فى الشئون العامة للبلاد فاعطى لهم سلطة تامة ولما كثرت أعمال هذا المجلس قسمها الى سبعة دواوين سميت بدواوين العموم . والمجلس المخصوص. وعدد أعضاؤه سبعة وهو شبيه بمجلس الوزراء الآن

وكان الباب العالى منشرح الصدر من احكامه العادا

وخصوصا لما علم بانتصاره الباهر على الانجليز

وهنا كانت قدم محمد على باشا رسخت فى مصر وكان الشعب يحبه حباً جماً . فنظم جيشه تنظيما هائلا

محمد علي والوهابيون

الوهابيون طائفة من المسلمين تذهب الى اغفال الكتب الدينية الاسلامية الا القرآن والحديث زعيمهم الاول محمد بن عبد الوهاب (١) وكان أبوه شيخا فقيها تربي فى حجره على المذهب الحنبلى . ثم انتقل لاتمام دروسه في البصرة وتمم بزيارة مكه والمدينة وعاد الى بلده ثم تزوج في الحريملة بالعارض وقام فيها واشتهر بين قومه بالتقوى وصدق التدين . وانحى عليهم باللائمة لتقاعدهم عن الفروض الدينية واهمالهم قواعد الدين الاساسية وبالغ فى تعنيفهم حتى تآمر بعضهم على قتله

(١) ولد فى العيينة من أقاليم العارض من نجد سنة ١١٠٦ هجرية الموافق لسنة ١٦٩٦ ميلادية

وتربصوا له في مكمن فأد لك غرضهم ففر الى بلده العينيه وأخذ يجتذب الاحزاب اليه من أهله وابناء قبيلته بالوعظ والمراسلة حتى اقنعهم والف حوله جمهورمن الانصارفى بلدته وما جاورها من القرى والبلدان

ومحمدابن عبد الوهاب ينشر مذهبه بالاقناع والموعظه ومحمد ابن سعود ينشر معها نفوذه وسلطانه في نجد فعارضه أهل الرياض من ذلك الاقليم بقيادة أميرهم وهيم بن دواس وحمل برجاله على المنفوحة فعادوا خائبين فتشددابن سعود وشيخه ابن عبد الوهاب وتمكنا من الثبات فى الدعوة . فتزوج ابن سعود ابنة محمد بن عبد الوهاب فولدت عبد العزيز فخلف اباه عند موته سنة ١٧٦٥ . وكان الوهابيون قد تكاثروا وصاروا جندا كبيراً فحمل بهم من اطراف جزيرة العرب

وكان عبد العزيز شجاعا حازما شديدالبطش مع تقوي وورع فغدره رجل من فارس بطعنة خنجر وهو يصلى فقتله سنة ١٨٠٣ ميلادية فخلفه ابنه سعود . وكان قد تعود الحرب من صغره فقاد بعض رجال ابيه وهو لا يزال فى الثانية

عشرة من عمره . ثم ما زال يقود الجند في الحرب حتى صدر الدولة العثمانيه في الشام والعراق وقد قام في اعتقاد العرب انه لا يلبث ان ينتشر هذا المذهب في العالم كله فخاموا حوله فخافت الدولة العثمانية بطشه فجندت اليه حملة بقيادة سليمان باشا فقهرها . ثم حمله بعشرين الف مقاتل على كربلاء وفيها قبور أئمة الشيعة وصاح برجاله — اقتلوا أئمة هؤلاء الكفار الذين يشركون بالله. فأخذوا في هدم المزارات من قبر الحسين الى أقل الابنية فلم يتركوا حجراً على حجر واستولوا على ما كان هناك من التحف والاموال واستعانوا بها على أمورهم

وفي السنة التالية فتحوا مكة ودخل سعود الكعبة رسميا في ٢٧ ابريل سنة ١٨٠٣ واستولى على ما فيها من التحف وشدد في نشر تعاليمه هناك . وبادر سعود فكتب الى السلطان سليم الثالث وهو يومئذ على العرش العثماني كتابا هذا معناه

من سعود الى سليم : اما بعد فقد دخلت مكة في الرابع من المحرم سنه ١٢١٨ هجريه وأمنت أهلها على ارواحهم وأموالهم بعد أن هدمت ما هناك من اشباه الوثنية وألغيت

الضرائب الاما كان منها حقا وثبت القاضى الذى وليته انت طبقا لشرع الاسلام فعليك أن تمنع والى دمشق . ووالى مصر من المجيء الى هذه البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمور فان ذلك ليس من الدين في شيء وعليك رحمة الله وبركاته

ولم تمض تلك السنة حتى دخلت المدينه فى حوزة الوهابيين واجري سعود فيها اصلاحه الدينى فهدم قبة القبر النبوي ونزع الستائر التى كانت هناك وأخذ في نشر سيادته على بلاد العرب فاصبحت حدود مملكته سنة ١٨٠٩ من الشمال صحراء سوريا . ومن الجنوب بحر العرب . ومن الشرق خليج العجم ومن الغرب البحر الاحمر . وقد استفحل امرهم ولم ير الباب العالى بدا من تكليف بطل مصر ومحيى معالمها محمد على باشا بكسر شوكتهم

فأجاب محمد على باشا هذا الامر بالطاعة وجعل يجمع القوات اللازمة لتلك الحملة لكنه فكر في أمر المماليك فخشى اذا سارت الحملة لا تكون البلاد في مأمن منهم فيجمعوا كلمتهم ويعودوا الى ما كانوا عليه من القلاقل . فعمد الى

اهلاكهم والقضاء عليهم قبل مسير الحملة . ولكنه في الوقت نفسه أخذ في اعداد المهمات لجند أربعة الآف مقاتل تحت قيادة ابنه طوسن باشا ثم طلب الى الباب العالى ان يبعث الى السويس بأخشاب لبناء المراكب اللازمة لنقل الجند ومعدات الحرب فارسل اليه ما طلب فابتنى ثمانية عشر مركبا واعدها عند السويس في انتظار الحملة

مذبحة المماليك

أن المماليك كانوا قد يئسوا من الاستقلال بالاحكام بعد أن رأوا ما حل بسلفائهم وما عليه محمد على باشا من العزيمة فكفوا عن مطامعهم اكتفوا بالتمتع بارزاقهم وممتلكاتهم في حالة سلمية فقطن بعضهم الصعيد وبعضهم القاهرة وتشتتوا فى انحاء القطر . وكان شاهين بك وهو الذي تولى رياستهم بعد وفاة الالفى قد اذعن لمحمد على باشا كما تقدم فأقطعه أرضا بين الجيزة وبنى سويف والفيوم فآوى اليها .
وفى شهر محرم سنة (١٢٢٦ هجرية) والموفق فبراير سنة (١٨١١ م) سار قواد الحملة من القاهرة وعسكروا في قبة

العرب في الصحراء ينتظرون سائر الحملة ومعها طوسن باشا وتعيين يوم الجمعة لوداع طوسن باشا والاحتفاظ بخروجه ورجاله الي قبة العزب. فأعلن ذلك فى المدينة ودعى كل الاعيان لحضور ذلك الاحتفال. ومن جملتهم المماليك وطلب اليهم أن يكونوا بالملابس الرسمية

* * *

ففي يوم الجمعه ٥ صفر سنة ١٢٢٦ هـ - (مارس سنة ١٧١١ ميلاديه احتشد الناس فى القلعة. وجاء شاهين بك فى رجاله واستقبلهم الباشا في قصره بكل ترحاب ثم قدمت اليهم القهوة وغيرها. ولما تكامل الجمع. وجاءت الساعة أمر محمد على باشا المسيرفسار الموكب وكل فى مكانه جاعلين المماليك الى الوراء يكتنفهم الفرسان والمشاة حتى اذا اقتربوا من الباب الغربي من أبواب القلعة في مضيق بين هذا الباب والحوش العالى أمر محمدعلي فاغلقت الابواب وأشار إلى الالبانيين (الارناؤط) فهجموا علي المماليك بغتة فانذعر اولئك وحاولوا الفرار تسلقا على الصخور ولكنهم لم يفوزوا لان الالبانيين كانوا أكثر

تعودا على تساقها . واقتحم المشاة المماليك من ورائهم بالرصاص فطلب هؤلاء الفرار بخيولهم من طرق اخري فلم يستطيعوا لصعوبة المسلك على الخيول. ولما ضويق عليهم ترجل بعضهم وفروا سعيا على اقدامهم والسيوف فى أيديهم فتداركتهم الجنود بالبنادق من الشبابيك فقتل شاهين بك امام ديوان صلاح الدين . وحاول بعضهم الالتجاء الى الحريم أو إلى طوسون باشا بدون فائدة ثم نودى فى المدينة أن كل من يظفر بأحد المماليك في أى محل كان يأتي به إلى كخيابك فكانوا يقضون عليهم ويأتون بهم اليه افواجا وهو يقتلهم

وكان عدد المماليك المدعون إلى الوليمة اربعمائة من عظمائهم قتلوا عن آخرهم ولم ينج منهم الا أثنان احدهما احمد بك زوج عديله هانم بنت ابراهيم الكبير . وكان غائبا بناحية موش . والثانى أمين بك اتى إلى القلعة متأخراً فرأى الموكب سائرا نحو الباب الغربي فوقف خارج الباب ينتظر خروج الموكب . ثم أقفلت الابواب بغتة وسمع اطلاق

الرصاص ادرك المكيدة فهز جواده وطلب الصحراء قاصدا سوريا . والمتناقل على الالسنة أن امين بك هذا كان داخل القلعة . فعندما حصلت المعركة همز جواده فوثب به من فوق السور لجهة الميدان فقتل جواده وسلم هو وقد صوروا تلك الاشاعة بالصور والاقرب للحقيقة أن هذه الاشاعة مختلفة أو مبالغ فيها على المهام الاخري وأخصها مسألة الوهابيين فكتب الى غالب شريف مكة يخبره باعداد حملة تنقذه من الوهابيين فيفتح طريق الحرمين لجميع المسلمين . وطلب اليه أن يمهد له السبيل فأجابه شاكراً ووعد بالمساعدة

اما سعود أمير الوهابيين فانبأته الجواسيس بما نواه محمد علي باشا فامر برجاله فاجتمعوا حوله خمسة عشر الفا ليدفع بهم جنود مصر . . أما حملة طوسون باشا فركبت البحر من السويس حتى اتت ينبع على الساحل الشرقي من البحر الاحمر ومنها يتصل الى المدينة . فتملكوا ينبع وساروا منها الى صفر وفيها معسكر الوهابيين وقد تأهبوا للدفاع فهجم طوسون باشا فتقهقر سعود ورجاله . اولا ثم ارتدوا على الجيوش المصرية فانهزموا وتركوا مؤنهم وذخائرهم

وجمالهم وعادوا إلى ينبع .

ولما علم محمد علي باشا بذلك جند جيشاوزوده بكل ممدات القتال وبالذخائر والمؤن ليشد به ازر ابنه . فجمع طوسون باشا القوتين وسار الى المدينة فأطلق عليها قنابله فهدم بعض الاسوار ثم دخلها واعمل السيف في حاميتها حتى سلمت اليه فكف السيف عنها . وانتشر خبر فتح المدينة في سائر الحجاز فخاف الوهابين وفرح اعداؤهم ولا سيما الشريف غالب . وقد كان في جدة لا يدري ماذا يكون من أمر تلك الحملة فلما علم بانتصارها كاد يطير من الفرح

وأجلى الوهابيون عن مكة خوفا من أهلها فجاءها طوسون واحتلها وكتب إلى ابيه ففرح فرحا شديداً لامزيد عليه لما أناه الله من النصر على يد ابنه لم يتأت لغيره من القواد العثمانيين وجيء اليه بقائد حامية المدينة من الوهابيين فارسله تحت الحراسة الى الاستانة فقتلوه حال وصوله اليها

أما ما بقي من دعاة الوهابين فكانوا لا يزالون في خارج مكة تحت قيادة كبيرهم سعود

فلما جاء صيف (سنة ١٢٢٨ ه سنة ١٨١٣ م) علموا أن جنود طوسون لا يحتملون حر تلك البلاد وانهم اذا ناهضوهم اذ ذاك ربما تغلبوا عليهم ثم ساروا الى تربة مكة فخاربوها واستولى عليها ثم ساروا الى المدينة وهددوها بعد ان استولوا على كل ما بين هاتين المدينتين من القرى والمدن فاتصل الخبر بمحمد على باشا فلم ير بداً من ذهابه بنفسه لنصرة الجنود المصرية وقد اصبحت مصر في مأمن من المماليك وغيرهم فسار بجند عظيم حتى اتي جدة فنزلها فى ٣٠ شعبان سنة ١٢٢٨ هجريه الموافق ٢٧ اغسطس سنة ١٨١٣ ميلاديه) فلاقاه الشيخ غالب شريف مكة ورحب به . وبعد ان أدي فروض الحج رأى أن الشريف ليس ممن يعول عليهم في الدفاع فعمد الى خلعه بطريقة تضمن حقن الدماء ففاز ثم وضع يده على ممتلكاته وبعث به وبعائلته الى القاهرة ومنها الى سالونيك فمكث هنالك اربع سنوات ثم مات

اما الوهابيون فمات قائدهم سعود في درعية فى ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٢٩ ه

فانحطت سطوتهم فأقاموا عليهم ابنه عبد الله ولم يكن كفؤاً فحصلت بينه وبين الجنود المصرية مناوشات كثيرة لم تأت بنتيجة وفى يوم ٢٨ محرم سنة ١٢٣٠ هـ حصلت معركة كبيرة بين جنود محمد على والوهابيين تحت قيادة فيصل اخي عبدالله شفت عن انتصار المصريين فتقدم طوسون الى نجد الا أنه اضطر اخيراً الى التوقف لقلة المؤنة وهو لم يبلغ ورعية

ثم اقتضت الاحوال عودة محمد على باشا الى مصر فعاد وقد فتح طريق الحرمين لكنه لم يبد جميع لوهابيين فوصل القاهرة في ٤ رجب سنة ١١٣٠ هـ فاهتم بتدريب الجند على نظام جند اوربا وهو أول من فعل ذلك فى مصر فاصدر امراً عالياً فى شعبان سنة ١٢٣٠ هـ مؤدا أن الجنود المصرية تدرب على النظام الحديث وهو النظام الفرنساوى فعظم على الجهادية ولا سيما الارناؤط الامتثال الى هذه الاوامر فرأى أن يدخل هذا النظام أولا بين الجنود الوطنية لانهم أقرب الى الطاعة من هؤلاء الالبانيين ومن كان على شاكلتهم . . .

وفي اثناء ذلك عاد طوسون باشا من الحجاز فخرج الناس لملاقاته بالاحتفال الاكرام ثم نزل الاسكندرية حيث كان أبوه مقيما فوجد ان أمرأته قد وضعت اثناء غيابه غلاما دعته عباسا . وبعد يسير أصيب طوسون بألم شديد في رأسه واعقب هذا الالم حمى عنيفة لم يعش بعدها الا قليلا . . واختلفت الروايات في موته وأسبابه وكيفيته وكانت وفاة طوسون باشا شديدة الوطأة على أبيه . ونقلت جثته الى القاهرة ودفنت قرب مسجد الامام الشافعي وراء جبل المقطم حيث مدفن العائلة الخديوية

وبعد أيام عاد محمد علي باشا الى روعه فأخذ يهتم بأمر الوهابيين خشية أن يعودوا الى ما كانوا عليه فكتب الى عبد الله سعود أن يأتي عليه بالاموال التي استخرجها الوهابيون من الكعبة وأن يتأهب متى قدم للمسير الى الاستانه العلية فاجاب يعتذر أن الشخوص وقال أن تلك الاموال قد تفرقت على عهد ابيه . وارسل له هدايا فاخره فأرجعها اليه محمد علي باشا تلك الهدايا — واوسعه تهديدا . ثم جرد اليه حملة عهد قيادتها الى ابنة ابراهيم باشا وكان باسلا

مقداما وقائداً مجرباً . لا يهاب الموت شديد الغضب سريعه ولكنه كان سليم القلب حر الضمير . ولذلك كانت أحكامه عادلة صارمة

وفي ١٠ شوال سنة ١٢٣١ هـ سار ابراهيم باشا بحملة من القاهرة في النيل الى قنا . ومنها في الصحراء الى القصير على شاطيء البحر الاحمر ومنها بحراً الى ينبع ثم الى المدينة وتربص هنالك يجمع قواته يستعد لهول شديد امتثالا لمشورة أبيه . فالتف حوله عصبة جديدة من القبائل المتحالفة ولما تكاملت قواته أقام الحرب سجالا وما زال بين هجوم ودفاع حتى فاز وقبض على زعيم الوهابيين عبد الله فارسله الى أبيه فوصل القاهرة في ٢١ محرم سنة ١١٣٣ واذن له بالمثول بين يدى محمد على باشا . فقبل يديه فرحب به كثيراً لانه كان يعجب بشجاعة الوهابيين ثم سأله ماظنك يابني ابراهيم؟ فاجابه قائلا — انه قام بما يجب عليه . ونحن قمنا بما يجب علينا . وهكذا أراد الله

وفي يوم ٢٠ محرم . ارسل الى الاستانة وطافوا به في أسواقها مدة ثلاثة ايام ثم قتلوه

ومن مفاخر محمد علي باشا انه بعد هذا الانتصار الباهر أرسل ابنه ابراهيم ومعه مفاتيح المدن المقدسة التى فتحها هدية الى أمير المؤمنين جلالة السلطان محمود خان . فلما وصل الي هناك خلع السلطان على ابراهيم باشا خلعة شرف مكافأة له . وسماه (والى مكة) فاتصلت هذه الاخبار بدرعية فخاف أهلها فهدموا المدينة . وفروا من وجه الموت فاحتلتها الجنود الظافرة . وانتهي أمر الوهابيين . وبعد ان قام بهذا العمل العظيم أراد ان يعيد لمصر استقلالها المهضوم . فقام بتحرير بلاده شيئا فشيئا من سيادة الحكومة التركية فكان يقوم بحكم مصر على ارادته وصار من شانه ان يقدم المصريين على سواهم في الوظائف العالية . والرتب الرفيعة ولذلك اخلص له أهل مصر وأحبوه . ولم يتألموا قط من أحكامه . وكانت نظريتهم انهم صاروا تحت حكم سيد واحد وكفاهم فخراً انهم رأوا عيانا بلادهم تتقدم بخطوات واسعة في سبيل الحضارة والمدنية

فتح السودان

ولما انتهى محمد علي من حروبه وفتوحاته ببلاد العرب طرأت في مخيلته العظيمة فكرة فتح السودان لانه كان يعلم مافي هذا القطر العظيم من الكنوز الثمينة وخصوصا مناجم الذهب بجوار البحر الابيض ناهيك بما هنالك من المحصولات والغلال والواردات العجيبة كالصمغ والريش والعاج . وغير ذلك انه كان يريد القضاء المبرم على المماليك الفارين فجند خمسة آلاف من الجند النظامي المدربين على النظام الحديث وأدخل في هذا الجيش جماعة من العربان ذوي البأس والشدة الذين كان يعتمد عليهم في حروبه . وزودهم بالآلات القتال السريعة وثمانية مدافع . وجعل الجميع تحت قيادة ابنه اسماعيل باشا

فسارت الحملة من القاهرة في يونيه سنة ١٨٢٠ ميلاديه فقطعت الشلال الاول وواصلت سيرها حتى الشلال السادس فوصلت شندى والمتمة وكانت قد اخضعت كل مامرت به من القرى والبلدان دون مقاومة . ومن شندى واصلت

سيرها الى سنار على البحر الازرق وراء الخرطوم ـ ولم يكن من القبائل التى يهمهم أمرها الا الشائقية فقاوموا قليلا ثم سلموا ودخلت سنار عاصمة كردوفان فى أملاك مصر . فسار اسماعيل باشا بجنوده الى فزقل وهناك ظن انه اكتشف معادن الذهب . ثم فشا فى رجاله الوباء فمات منهم كثيرون ثم أتته نجدة مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل تحت قيادة صهره احمد باك الدفتردار . فاشتد أزره فاقام صهره هذا على كردوفان ثم سار فى جيش الى المتمة على البر الغربي من النيل ثم عبر الي شندى في البر الشرقى لجباية المال وجمع الرجال فاستدعي اليه ملكها واسمه نمر وقال له ـ أريد منك ان تاتي الى قبل خمسة ايام بملء قاربي هذا من الذهب والفين من العساكر . فجعل ذلك الملك يستعطف اسماعيل باشا ليتنازل عن ذلك القدر فقبل منه أخيراً عوضاً عن الذهب عشرين الف ريال من الفضة فاجابه الي ماأراد . ولكنه لم يكن يستطيع جمعها في تلك المدة فطلب اليه تطويل المدة التى قررها له ـ فضربه اسماعيل باشا بالشبق (الغليون) على وجهه قائلا ـ اذا كنت لاتدفع هذا المبلغ فوراً ليس

لك عندى غير الخازوق من جزاءك

فسكت نمر وقد أضمر له الشر وصمم على الانتقام منه . فطيب خاطره ووعده باتمام ما يريد وفى تلك الليلة جمل يرسل من التبن الجاف احمالا الى معسكر اسماعيل باشا علفا للجمال وانما جعله حول المعسكر كانه يريد اشعاله وفى المساء أتي الى اسماعيل باشا في سرب من الاهالى ينفخون بالمزمار ويرقصون رقصة خاصة بهم فطرب اسماعيل باشا وضباطه لذلك ثم أخذ عدد المتفرجين من الوطنيين يزداد شيئا فشيئا حتى أصبح كل أهل المدينة هناك فلما تكامل العدد أمرهم ملكهم نمر بالهجوم فهجموا بغتة على اسماعيل ورجاله ثم اشعلوا النيران في التبن فاشتعل وصار لاستعماله هبوبا عظيما فمات اسماعيل باشا وكثير ممن كانوا معه بين قتل وحرق - وفي اليوم التالى اتوا على الباقين وساقوا سلبهم الى المدينة (الاخذ بالثأر)

واتصل الخبر باحمد بك الدفتردار فاغتاظ غيظا شديداً وأقسم أنه لا يقبل أقل من عشرين الف رأس انتقاما لاسماعيل باشا .. فنزل بجيشه القليل وحارب الملك نمر

وتغلب عليه . وما هى غير مده حتى بر بقسمه فقتل ذلك العدد من الرجال متفننا فى طرق قتلهم على اساليب مختلفة فهدأت الاحوال بعد ذلك .. وهكذا تم افتتاح السودان

فى سبيل نهضة مصر

فعاد محمد على باشا الى ما كان عليه من تدريب الجند على النظام الحديث . وكانت قد تمهدت له السبيل فأسس مدرسة عسكرية فى الخنكاه كانت تعلم فيها اللغات والحركات العسكرية . وجعل سرأي مراد بك التى كانت بالجيزه مدرسة للفرسان وجعل بها اساتذة من الافرنج وانشأ مدرسة للطوبجيه . وجعل فى القاهرة معامل للسبك المدافع ولصنع جميع مهمات ولوازمات الحرب والجند . تحت رئاسة فطاحل من الافرنج واتفضل فى ادخال النظام الجديد في الجيش المصرى لاحد ابطال فرنسا . المسيو (ساف) وكان فى أول حضوره الى مصر اراد أن يدرب الجند على النظام الحديث فلم يذعن له الجند لانهم قد اعتبروه (غير مؤمن) . وكان الاسلام في ذاك الوقت فى عهده الحقيقي وكانوا لايتركون

فرائض الدين الحنيف ومن هنا كان النجاح رائدهم في جميع مواقعهم ولو راجعنا تاريخ محمد علي باشا من عهد نشأته الى الآن لوجدنا ان السبب في هذه الانتصارات الباهرة عدم الخيانة وعدم تفشي اسرار الحكومة والامة الى الاجانب . ومن كثرة التقوي المشموله بالصلاة لم يكن بينهم خائنا كانهم في صدر الاسلام والخلفاء الراشدين ـ

ولو اطلع مطلع على تاريخنا من عهد الاحتلال الى الآن لوجده حافلا بالخيانة والزربة والسعى في المصالح الشخصية لاهم بعض الافراد غير نجاحهم واسقاط غيرهم مهما كان في ذلك من بيع الوطن واسكات كل ناطق بالحرية ـ والذى يخون بلاده . ويكشف اسرار وطنه للاجانب يستحق أن يعامل معاملة الخونة والمنافقين ـ والذى يهون عليه بيع البلاد وافشاء أسرارها فذلك ليس له دين ولا أمان لانه يضر امته وشعبه ويكون خطرا على الوطن وانه لو علم أن أفرادا من الاجانب يخدشون عرضه لا يهتم لذلك لانه أخدش حقوق الوطن بغير اهتمام

ولما نظر الكونل (ساف) الى هذه العصمة الدينية

التي شملت هؤلاء القوم اضطر الى الخروج من دينه فامن بالله تعالى واعتنق الاسلام ودعا نفسه (سليمان باشا)

* * *

وعكف محمد على باشا الى تنشيط الخارجية بحرافوجه عنايته الى ثغر الاسكندرية فجعل فيه (ترسخانه) واقام فيها مدرسة احضر اليها كثير من الاساتذه الاورباويين وبنى حول الاسكندرية حصنا منيعا خوفا من حدوث طوارىء طارئه ـ

والتفت الى اصلاح داخلية البلاد فقسم القطر المصري الي اقاليم ومديريات . جعل على كل قسم منها مأمور معه قوة عسكرية لمساعدته في جمع الضرائب . وكانوا يستخدمون الكرباج فى تحصيلها ـ وبهذا العمل الجليل احتفظ الامن العام بما أجبر الاجانب الى نزولهم مصر فاتخذوها وطنا ثانيا .. وكان محمد على باشا أول من وضع نظام المديريات فى القطر المصري

وما كاد ينتهى من كل ذلك حتى وصله على حين بغتة مرآعاليا من أمير المؤمنين السلطان يستدعيه لمحاربة اليونان

فلبي الدعوة . وفى سنة ١٨٢١ ميلاديه جهز جيشاً جراراً وسافر به الى جزيرة كريد فاحتلها دون مقاومة وضمها الى تركيا ولقب محمد على باشا بلقب (باشا الجزيرة) وبعد ذلك باربع سنوات قام اليونانيون يطالبون باستقلالهم من الحكومة التركية وكانوا فى ثورة هائلة . فارتبك الباب العالى من هذه الحركة الغير معهودة وتذكر محمد على باشا وانتصاراته الباهرة . فأرسل اليه امراً كريماً بمحاربة موره فكان محمد على باشا رجل حكيم مدبر يفهم حقائق الامور ولا يعمل عملا الا بعد تفكير طويل وامعان رأى . فوجد انه من المناسب له أن يكون بمصر وان يرسل ابنه ابراهيم باشا بالحملة المصرية الى موره اجابة لطلب الباب العالي

واصدر السلطان فرمانا بتاريخ ٦ مارس سنه ١٨٢٤ بتعيين محمد على باشا واليا على اقليم كريد وجزيرة مورة . ولقد توهم الباب العالي أن محمد على باشا لم ينظم هذا الجيش الا ليوجه انظاره شطر الدولة العليه ويطالب باستقلال مصر

والذي اثبت هذه الفكرة في اذهان رجال تركيا . هو ارساله ابنه بالحملة المصرية . . . ولما وصل هذا الفرمان إلي محمد على باشا لم يسعه الا الاذعان لأوامر السلطان خوفا من أن يحمل هذا الامتناع عصيانه على متبوعه ـ وفى الحال اصدر أمره باستعداد سبعة عشر الف جندى كلهم من ابناء مصر البواسل . وعدد عظيم من المدفعية وعين أكبر أولاده ابراهيم باشا مخضع الوهابيين وفاتح السودان قائداً عاما لهذه الحملة وارفق معه سليمان باشا منظم هذه الجيوش ليساعده بخبرته ومعلوماته العسكريه

فاستعدت هذه الارسالية للسفر من ثغر الاسكندريه وابحرت منها في يوم ١٦ يوليه سنة ١٨٢٤ ميلاديه على سفن مصرية تكتنفها سفن حربيه مصرية ايضا من سفن الجيش المصرى التى انشاها محمد على باشا بالبحر الابيض المتوسط لحماية الثغور المصرية من هجمات الاعداء . لان محمد علي باشا كان قد أخذ من هجوم الانجليز سنة ١٨٠٧ درساً بليغا لتحصين هذه الشواطيء

فسارت السفن باسم الله مجريها إلى (جزيرة رودس

اذ كانت الحكومة التركية ارسلت جنودها لانتظار الجيوش المصرية وانضمامهم الى قوة واحدة فى حرب اليونان

ولما اجتمع المصريون بالاتراك ترك ابراهيم باشا قيادة حامية كافية لحفظ الجزيرة من تعدي الثوار لسليمان باشا وقصد هو جزيرة كريد . فاحتلها ومنها قام الى سواحل جزيرة موره وبعد عناء شديد تمكن من انزال جيشه فى ميناء ميدوم ولم يكن باقياً فى يد العثمانيين إذ ذاك من جميع سواحل اليونان الا هذه المدينة (ومدينة كورون) لان الثوار كانوا قد احتلوا باقي سواحلهم ـ ولما شعرت الحكومات الاجنبية بانضمام الجيشين المصري والتركي لمحاربة اليونان حتي تشكلت فى جميع الدول الاوروباوية جمعيات دعيت بجمعيات محبي اليونان . وقامت بجمع المال والاسلحة والذخائر وأرسلوها للثوار . وتطوع عدد كبير من عظماء رجال أوروبا وامريكا فكان منهم واشنطون ابن محرر امريكا الشهير . واللورد بيرون الشاعر الانجليزى . وكثير من امثال هؤلاء الفحول الذين أوقفوا حياتهم فى سبيل الدفاع عن الحرية لاى أمة

كانت مهضومة الحقوق. ومما ساعد على دخول هؤلاء الرجال المشهور لهم فى الجيوش اليونانية القصائد الحماسية التي وضعها وقام بنشرها فيكتور هوجو شاعر فرنسا المعروف. وكازيمير الناظم الشهير . . . . . كل هذا لم يرجع ابراهيم باشا ولم يثنه عن عزمه. بل تقدم بجيوشه مندفعاً الي الامام. ففتح مدينة نوربن بعد ان حاصرها بضع ايام ودخلها فاتحا منصوراً وفى ١٦ مايو سنة ١٨٢٥ فتح مدينة كالاماتا . وفى ٢٣ مايو احتل مدينة (تريبولتسا) ثم استدعى رشيد باشا الذى كان محاصراً مدينة ميسولونجى ابراهيم باشا لمساعدته على فتحها وكانت قد اعيته فى ذلك الحيلا لوقوعها على البحر وصعوبة مسالكها. فوصل اليها المدد تباعا من جهة البر. فقام ابراهيم بجيوشه واتبع فى فتحها الطريق الذي ارشده اليها سليمان باشا ففتح هذه المدينة بعد عناء شديد. وجهاد عنيف ودخلها الجيشين المصري والعثماني فى يوم ٢٢ ابريل سنة ١٨٢٦ وفى يونيه سنة ١٨٢٧ فتح العثمانيون مدينة اثينا واحتلوا قلعتها الشهيرة اكروبول رغما عن دفاع اللورد كرشران القائد البحرى الانجليزي الذي كان معينا قائدا عاما للجيوش اليونانية البرية والبحرية

وبينما كان ابراهيم باشا يستعد لفتح ما بقي من بلاد اليونان تداخلت الدول بين الباب العالى ومتبوعه بحجة كاذبة وهى حماية اليونانيين فى الظاهر ولفتح المسألة الشرقية ـ والحقيقة هى مطامع الدول الاوروباوية فى تقسيم دولة اليونان فيما بينهم فلما وجد الباب العالى انهم أقوى منه اضطر على التصديق على معاهدة (آقي كرمان) فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٢٦ م وفى فبراير سنة ١٨٢٧ عرضت انجلترة رسميا على الدولة العليه توسط جميع الدول بينها. وبين متبوعها. فلم يقبل الباب العالي ذلك وأجاب السفير الانجليزي بعد التروى

ان الحكومة التركية لم تسمح مطلقا بتدخل أى اجنبي فى شؤونها. فاغتاظت الدول من هذا الجواب المقنع. وهو فى الحقيقة جواب (حق) ولكن للمطامع الدولية. لا يعرفون الحق. فاتفق الحكومات الثلاثه. فرنسا. وانجلتره. وروسيا بمقتضي عقد وفاق بتاريخ ٦ يوليه سنة ١٨٢٧ م على الزام الباب العالى بالقوة بمنح بلاد اليونان استقلالها الاداري بشرط أن يدفع اليونانيون جزية معينة يتفق على مقدارها فيما بعد وامهلوا الباب العالي شهرا لايقاف الحركات العدائية ضد

اليونان . والا فتضطر الدول لاتخاذ طرق اخرى لتنفاذ مطالبها

ولما وصلت هذه المعاهده الي الباب العالى لم يحفل بها وبعد انقضاء الشهر اصدرت الدول الثلاثه أوامرها الى قواد اساطيلها بالتوجه الى سواحل اليونان . وخابرت ابراهيم باشا بالكف عن القتال فجابهم انه لا يتلق اوامره الا من سلطانه أو من والده ومع ذلك فانه قبل ايقاف الحرب مدة عشرين يوما ريثما تأتيه تعليمات جديدة

ورغم كل ذلك كان على تمام الاستعداد هو وجنوده احتراسا من كل طاريء

ولما وصل هاته الدول الثلاثة المتحالفة رد ابراهيم باشا عليهم اجتمعوا في ميناء نورين لمنع خروج السفن التركية والمصريه من الميناء

وفى ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ تكامل عدد سفن الدول المتحدة فكانت قيادة السفن الفرنساوية بيد الاميرال (ريني) والروسية تحت امرة الاميرال « هيدن » والانجليزيه بقيادة اللورد « كود رنجتون » وهذا الاخير انتخب قائدا عاما لجميع سفن الدول المتحدة

ولم تلبث السفن متقابلة لبعضها . وعلى بغتة أرسلت سفن الدول المتحدة قنابلها ومقذوفاتها الجهنمية على السفن التركية. والمصرية فدمرتها بعد ان استمر القتال اربع ساعات . فاظهرت السفن المصرية قوة عنيفة ما كان علم بها قواد وجنود الدول الثلاثة

ولما رأى ابراهيم باشا تألب الدول على الدولة العلية . وان فرنسا أمرت بارسال جيش عظيم لمحاربة الدولة العلية وتتميم استقلال اليونان واتفق فى ١٣ اغسطس سنة ١٨٢٨ موردت اوامر لابراهيم باشا من والده محمد على باشا مع الدول المتحدة على اخلاء موره والرجوع الي مصر على مابقى من السفن المصرية غير تارك فيها سوي ١٢٠٠ الف ومائتي جندى للمحافظة على (مودون . وكورون . وناورين) ريثما تستلمها العساكر العثمانية . وفي ٧ سبتمبر سنة ١٨٢٨ ابتدأ انسحاب الجنود المصرية . وكانت كلما اخلت محلا دخله الفرنساويون الذين نزلوا ببلاد اليونان فى ٢٩ اغسطس تحت قيادة الجنرال (ميزون) وبذلك انتهت مأربة ابراهيم باشا التي كادت تتم على يديه هو ومن معه من الجنود المصرية لولا اتفاق الدول علي سلخ هذه الولاية المهمة من املاك الدولة العلية سعياوراء

أضعافها حتي يتمكنوا من تنفيذ مآربهم

❊ ❊ ❊

وهنا عاد محمد علي باشا للاهتمام بشؤون بلاده وادخال النظامات الجديدة فيها فأنشأ عدة سفن حربية بدل التي دمرها المتحدين الاوربي في ناورين ولكن ماليته وقتئذ لم تكن لتكفي مصاريف هذه الاعمال . فاستعان على اتمامها بالضرائب الفادحة واستعمال الانفار تسخيراً بلا أجر . ولجهل الاهالي بان فوائد اتمامها ستعود عليهم آجلا باضعاف اضعاف ما يدفعونه عاجلا تمكن بعض أرباب الغايات من استمالتهم للمهاجرة الي بلاد الشام فهاجر منهم خلق كثير والتجأوا الي عبد الله باشا والي عكا المشهور (بالجزار)

ولما طلب منه محمد علي باشا ارجاعهم خوفا من كثرة عدد من يتبعهم الي الشام امتنع من ذلك بدعوى ان اقليمين تابعان لسلطان واحد وسواء أقام بعض سكان أحدهما في الآخر أو بالعكس ما دام أحد الاقليمين لم يكن حائزا على امتيازات مخصوصة كحالة مصر الآن

ولذلك أمر محمد علي باشا في سنة ١٨٣١ م باعداد الجيوش

والتأهب للسفر الى بلاد الشام عن طريق العريش وعن طريق البحر في آن واحد لمحاصرة عكا من الجهتين قبل ان يأتيها المدد وعين ولده ابراهيم باشا قائداً للجيوش المزمع سفرها . وسليمان بك الفرنساوي قائمقام . فسار هذا البطل العظيم بحراً في ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٣١ الي مدينة حيفا تحف به المراكب المصرية في أكمل نظام . وكانت الجيوش البرية قد سبقته الي العريش وفتحت في سبيلها مدائن غزه . ويافا . وبيت المقدس . ونابلس . وجعل ابراهيم باشا مدينة حيفا مقراً لاعماله ومركزاً لاركان حربه ومستودعا للمؤن والذخائر ثم ارتحل عنها لمحاصرة مدينة عكا فحاصرها براً وبحراً في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٣١ حتى لا يأتيها المدد بحراً فلا يقوى على فتحها كما حصل لبونابرت من قبل حين حاصرها سنة ١٧٩٩ م

فلما علم الباب العالي بدخول الجيوش المصرية الي الشام وحصارها مدينة عكا اعتبر ذلك عصيانا من محمد علي باشا فاوعز الى والي حلب المدعو عثمان باشا الذهاب لمحاربة الجيوش المصرية وردها الي حدود مصر

فلما وصل هذا الايعاز الى عثمان باشا جمع نحواً من عشرين

الف جندى . وقصد مدينة عكا ولكن لم يمهله ابراهيم باشا ريثما يأتى اليها بل ترك حول عكا عدداً قليلا من الجنود لاستمرار الحصار وسار هو بمعظم الجيش لملاقاة الجيش العثماني فالتقي الجمعان بالقرب من مدينة حمص وانتصر المصريون على العثمانيين بسبب استعدادهم و كمال نظامهم ـ ثم عاد ابراهيم باشا الى مدينة عكا وشدد عليها الحصار ودخلها عنوة فى يوم ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ ميلادية وأخذ عبد الله باشا الجزار سبب هذه الحرب أسيراً وأرسله الي مصر

وبمجرد وصول خبر سقوط مدينة عكا فى أيدى المصريين أمر السلطان بجمع كل ما يمكن جمعه من الجيوش المنظمة فجمع فى أقرب وقت نحو ستين الف مقاتل وعين حسين باشا الذى كان امتاز فى مكافحة الانكشارية قائدا فسار الي بلاد الشام بكل تأن وبطء حتي أمكن ابراهيم باشا الاستعداد لملاقاته فتغلب أولا على مقدمته وانتصر عليها فى ٩ يوليو سنة ١٨٣٢ واقتفى اثرها حتى دخل مدينة حلب فى ١٧ يوليو

ولما علم حسين باشا بانهزام المقدمة تقهقر بمن معه من الجيوش وتحصن فى أهم مضايق جبال طوروس الفاصلة بين

الشام والاناضول ويسمى هذا المضيق بمضيق بيان فلحقه ابراهيم باشا وفاز عليه فوزاً مبينا وفرق شمل جيوشه فى ٢٩ يوليه من السنة المذكورة . وتبع من بقى منهم الي ان نزلوا بمراكبهم فى ميناء اسكندرونه فجمع السلطان جيشا آخر وقلد رئاسته الي رشيد باشا الذى امتاز مع ابراهيم باشا في حرب موره وأرسله الى بلاد الاناضول لصد هجمات ابراهيم باشا عن القسطنطينية نفسها اذ كان ابراهيم باشا قد اجتاز جبال طورسوس واحتل اقليم (أطنه) وما وراءه الي مدينة قونيه في وسط الاناضول والتقى بالترب من هذه المدينة برشيد باشا وجيشه فانتصر عليه وأخذه أسيراً فى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ ميلاديه

وعند ذلك ساد القلق فى الاستانة وخيف تقدم ابراهيم باشا بجيوشه المصرية اليها . أما دو فسار حتي وصل الي ضواحي مدينة بورصه

ولما تواترت اخبار انتصار المصريين على العثمانيين خشيت الدول أن يكون قصد محمد على باشا احتلال الاستانه واسقاط عائلة بنى عثمان والاستئثار بالخلافة الاسلامية فيحصل

اضطراب عمومي في التوازن الاوربي وكانت الروسيا أشد قلقا من غيرها لخوفها من سقوط الاستانة في قبضة من تمكنه الذب عنها اكثر من الملوك العثمانيين ولذلك عرضت على الدولة العلية مساعدتها بالرجال وانزلت فعلا على شواطىء الاناضول خمسة عشر الف جندي لحماية الاستانة فاضطربت فرنسا وانكلترا وخشيتا سوء عاقبة تداخل الروسيا بصفة عسكرية والحت على الباب العالى بسرعة الاتفاق مع محمد على باشا قبل تفاقم الخطب واتساع الخرق على الراقع وتوسطت بينهما فقبل الباب العالي هذا التوسط

وبعد مخابرات ومداولات لا حاجة لتفصيلها اتفق الطرفان علي ان يخلي المصريون اقليم الاناضول وترجع جيوشهم الي وراء جبال طوروس وتعطى لمحمد على باشا ولاية مصر مدة حياته ويعين هو واليا علي ولايات الشام الاربع (عكا وطرابلس . وحلب . ودمشق) وعلى جزيرة كريد وان يعين ابنه ابراهيم باشا واليا على اقليم اطنه . .

وصدرت بذلك ارادة سنية في ٥ مايو سنة ١٨٣٣ ودعيت هذه المعاهدة معاهدة كوتاهية نسبة الي المدينة التى كان بها

ابراهيم باشا عند اتمامها وبذلك انتهت هذه المسألة مؤقتا اذ لم يقبل السلطان بهذه التسوية الا ليتمكن من الاستعدادات للحرب وارجاع ما أخذ منه قهراً

ولم تكن التسوية الا وقتية فان محمد علي باشا لم يقبل بها الا خوفا من اجبار الدولة له ترك فتوحاته مع كونه عازما على تتميم مشروعه وهو الاستقلال التام عند سنوح الفرصة وكذلك لم يقبل السلطان الا لتفريق جيوشه وعدم امكان صد هجمات ابراهيم باشا الا بمساعدة الروسيا الامر الذي سعي في تلافيه بابرام هذه المعاهدة حتى اذا استعد لاسترداد ما فقد كرها اغار على بلاد الشام . وجعل مصر ولاية عثمانية بدون أقل امتياز

ولقد كانت هذه افكار كل من الفريقين لانه لا بد من اشتعال نار الحرب بينهما ثانية عاجلا أو آجلا ـ لقد كان من أهم دواعي استئناف هذه الحرب عصيان أهل الشام على محمد علي باشا ومعاملته اياهم بكل صرامة لاخضاعهم لسلطانه ثم عصيانه الدروز وامدادهم بالمال والسلاح من الخارج سراً لاضعاف شوكته ـ وفي أثناء ذلك فاتح محمد علي باشا بعض

وكلاء الدول بمصر بانه يرغب ان تكون مصر والشام وبلاد العرب له ولأولاده من بعده. فابلغ الوكلاء ذلك لدولهم وهي خابرت الدولة العلية بذلك بكيفيات مختلفة. فعضدت فرنسا مطالبه. وحسنت له الدول الاخرى محاربته بكل شدة واخضاعه خوفا من تطلعه الى غير ما في يده من الاقاليم ولتغلب نفوذ سفير فرنسا قبل الباب العالي ارسال مندوب من طرفه الي محمد علي باشا للاتفاق على حل مرض للطرفين فارسل هذا المندوب الي مصر في غضون سنة ١٨٣٨ وقابله والبها بكل تجلة واكرام

وبعد مداولات طويلة اتفقا على ان تعطى له ولايتى مصر والعرب ارثا لاولاده. وبلاد الشام الى جبال طوروس مدة حياته. . وعاد الى الاستانة بهذا الوفاق فلم يقبله الباب العالي بل اصر على أن تكون جبال طوروس ومفاوزها في أيدى العثمانيين لا المصريين وصمم محمد على باشا على عكس ذلك بما أن هذه المغاوز بمثابة أبواب لبلاد الشام باجمعها فلو احتلتها الدولة العلية امكنها الاغارة على بر الشام متى أرادت

وبذلك عاد الخلف الي ما كان عليه وصارت الحرب

قاب قوسين أو ادني وأوعز الباب العالي الى حافظ باشا الذى عين سر عسكر الجيوش المجتمعة في سيواس بارمينية بعد بعد موت رشيد باشا اسير قونيه الذي مات قبل أن يأخذ بثأر هذه الواقعة ويمحوا ماالحقه فيها من الفشل الى أن يتقدم الى ولايات الشام بكل سرعة فتقدم اليها في سنة ١٨٣٩ وعبر نهر الفرات عندمدينة (بلاجيق) في ابريل من السنة المذكورة ثم التقى الجيشان بعد عدة مناورات بالقرب من بلدة تدعي نصيبين وهى المشهورة فى جميع كتب الافرنج باسم (نزيب) فى ٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩ وفاز المصريون بالنصر وتقهقر الجيش العثماني تاركا فى أيدي المصري ١٦٦ مدفعا وعشرين الف بندقية وغيرها من الذخائر والمؤن وكان هـذا اليوم مشهوداً تشيب من هوله الاطفال . واحتل المصريون عين تاب . وقيصرية . وملطية

ثم أن احمدباشا القبودان العام للمراكب التركية خرج بجميع مراكبه الحربية واتي بها الي ثغر الاسكندرية وسلمها الى محمد على باشا فى ٢٤ يوليه سنة ١٨٣٩ م

ولما علم قناصل الدول بالاستانة بتسليم المراكب التركيه

الى محمد باشا خشوا زحف ابراهيم باشا على القسطنطينية فترسل الروسيا جيوشها لمحاربته بناء على معاهدة (هونكار اسكلسي) لاسيما وقد فقدت الدولة جميع جيوشها البرية وسفنها الحربية . فارسلوا الي الباب العالي لائحة مشتركة بتاريخ ٢٨ يوليو سنة ١٨٣٩ ممضاة من سفراء فرنسا وانجلتره والروسيا والنمسا . والبروسيا يطلبون منه أن لا يقرر شيئاً في أمر المسألة المصرية الا باطلاعهم واتحادهم وأنهم مستعدون للتوسط بينه وبين محمد على . على هذه اللائحة . واجتمع السفراء عند الصدر الاعظم فى ٣٠ يوليو وتداولوا فيما يجب اعطائه لمحمد على باشا . فابدى سفير انكلترا والنمسا ضرورة ارجاع الشام للدولة العليه وعارضهم في هذا الرأي سفير فرنسا والبروسيا وطلبا ان يمنح محمد على باشا ملك مصر وولايات الشام الاربع ولكن سفير الروسيا عاد فانحاز الي الرأي العام فتقرر بالاغلبية

ثم طلب المسيو (دي مترنيخ) اكبر وزراء النمسا أن يعقد مؤتمر دولي فى مدينة (فينا) أو (لوندره) لاتمام المداولات بشأن المسألة المصرية فلم يقبل منه ذلك . ولم يميلا لهذا الطلب

لعدم ثقتهم بالمسيو (دي مترنيخ) وكذلك الروسيا لم تقبل تحويل مؤتمر دولى حق تحديد علاقاتها مع الباب العالى بل اعلنت أنها مصرة علي التمسك بنصوص معاهدة (خونكار اسكله‌سي) وهي حماية الدولة بعساكرها ومراكبها وبالتالى احتلال معظم املاكها بدون حرب لو تعدى ابراهيم باشا حدود الشام فعند ذلك طلبت كل من فرنسا وانكلترا من الباب العالي التصريح لمراكبها بالمرور من بوغاز الدردنيل لحمايته عند الضرورة من العساكر المصرية

وعاد الاميرال الانجليزي بنفسه الى القسطنطينية للحصول على هذا التصريح . . ولما علم السفراء بهذا الطلب اضطربوا وخشوا من حصول شقاق بين الدول المتوسطة . واعلن سفير الروسيا انه اذا دخلت المراكب الفرنساوية والانجليزية يقطع علاقاته السياسية مع الباب العالى ويسافر في الحال . وكانت حكومته أرسلت له مركبا حربيا ليسافر عليها اذا اقتضت الحال الي ذلك . وكتبت النمسا الي وزارتي لوندره وباريس بان طلبها هذا مخل بسلم أوربا وانهما لو أصرا عليه تخرج من التحالف وتحفظ لنفسها حرية العمل . فلما علم

الباب العالي بذلك خاف من تفاقم الشر وتراكم الخطب . فرفض طلب حكومتي فرنسا وانجلترا وطلب منهما ابعاد مراكبهما عن مدخل البوغاز فلهذه الاسباب وعدم الاتفاق بين وزراء الدول توقفت المخابرات الي أوائل شهر سبتمبر سنة ١٨٣٩ ميلادية . حتى عرض سفير انكلترا على الباب العالي . ان دولته مستعدة لاخبار محمد على باشا على رد الحامية التركية بشرط أن يكون لها حق ادخال مراكبها في خليج اسلامبول لصدها وسياعند الضرورة فاماعلمت بذلك حكومة فرنسا ارسلت الى الاميرال (لالاند) قائد اسطولها في مياه تركيا أمرا بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٣٩ ميلادية انه لا يشترك مع مراكب انجلترا في أي حركة عدائية ضد حكومة محمد على باشا فعلم الكل انه لا بد من حصول خلاف بين فرنسا وانجلتره بخصوص المسألة المصرية . . . وأخذت الدول حذرها مما عساه أن يحصل من الامور التى تنشأ بسبب هذا الخلاف . فأعلنت النمسا بانها لا ترغب التداخل لعدم نجاح طلبها المختص بانعقاد مؤتمر دولى فى فينا أو برلين . وأعلنت بروسيا والروسيا بانها يقبلان كل ماتقرره الدول فى هذا الشأن

بشرط أن يكون موافقا لرغبة الباب العالي وان يكون قبوله لهذا القرار صادرا عن كمال الحرية . . فكأن الدول قبلت ما اتفقت عليه فرنسا وانكلترا بالاتحاد مع الباب العالي ولكن لم يتم الاتفاق بين هاتين الدولتين لسعي انكلترا فى ارجاع المصريين الى حدودهم الاصلية . وعدم قبول فرنسا ذلك ورغبتها فى مساعدة محمد على باشا

وذلك ان فرنسا كانت تريد أن تكون ولايتا مصر والشام له ولذريته . وأقليما اطنه وطرسوس له مدة حياته . . وأما انكلترا فكانت لا تريد أن يعطي الا ولاية مصر ولكن رغبة في ارضاء فرنسا قبلت أن يعطى مدة حياته نصف بلاد الشام الجنوبي بشرط أن تكون مدينة عكا من هذا النصف فرفضت فرنسا هذا الاقتراح وقالت . ـ كيف تحرمه من فتوحاته . وخصوصا بعد أن قهر الجيوش العثمانية في واقعة نصيبين وانا لو جردناه منها لتركنا له بابا للحرب مرة أخرى وهو أمر لا تكون عاقبته حسنة لانه يوجب تداخل حكومة الروسيا فى أمر الدولة العلية بمقتضي العهود . ولا تكون

نتيجة ذلك الاحرباً عامة فالأولى منعا لسفك دماء العباد أن تعطي لمحمد علي باشا البلاد والتى فتحها لانه أقوى بارادتها واحق بها لما تكبده فى فتحها من المشاق الصعبة والمصاريف الزائدة وبذل الارواح ... ولما علمت الدول بوقوع الخلاف بين فرنسا وانكلترا اعلنت النمسا وبروسيا رسميا انهما يتحازان الى أحدى الدولتين التي لاتحرم الدولة من أملاكها . وبعبارة اخري الى انكلتره

واما الروسيا فارادت ان تنتهز فرصة عدم اتحاد الدولتين لتقرير نفوذها في الشرق وحق حمايتها على الدولة العلية دون غيرها وارسلت الى لوندره البارون (دى برونو) بصفته سفير فوق العاده فوصلها في أواخر سبتمبر سنة ١٨٢٩ وعرض علي حكومتها بالنيابة عن قيصره ان الروسيا مستعدة أن تترك لانكلترا حرية العمل فى مصر وتساعدها على اذلال محمد على باشا بشرط السماح لها بانزال جيش بالقرب من اسلامبول فى مدينة (سينوب) الواقعة على البحر الاسود بين الاناضول لكي يتيسر لها اسعاف الباب العالي لوارد ابراهيم باشا الزحف علي القسطنطينية . . فصفي اللورد

(بالمرستون ـ وهذا اللورد وهو من ساسة الانكايز المشهورين ولد سنة ١٧٨٤ ميلاديه واشتهر بمقاومة محمد علي باشا الكبير حتى يمكن القول بان مساعى هذا اللورد كانت السبب الوحيد في أخفاق محمد على باشا وعدم نجاح مقصوده) أصغي باذنيه الى كلام سفير الروسيا . ومال الي هذا الرأى ميلا شديدا ولولا استقباح الرأى العام له لقبله كل القبول وسلم به كل التسليم لكنه لما رأى عدم موافقة الرأى العام لهذا المشروع اقترح علي الروسيا أن تعلن أولا بتنازلها تخوله لها معاهدة (خونكار اسكله سي) من حق حماية الدولة العلية فرفضت الروسيا ذلك وأجلت المخابرات بشأن تسوية المسألة المصرية الي (شهر يوليو سنة ١٨٤٠ ميلادية) لعدم اتفاق الدول على حالة مرضية للكل وافية بغرض الجميع لتبايتهم فى الغايات والمقاصد وفي خلال هذه المدة أرسلت الروسيا المسيو « برونو » ثانية الى لوندره . ليطلب تعديلى المشروع الاول بأن تخول لكل من أنكلترا وفرنسا الحق في أرسال ثلاث سفن حربية فى بحر « مرمره » للاشتراك مع الجيش الروسي فى حماية أسلامبول أذ هاجمها ابراهيم باشا . فلم تفز الروسيا

بمرامها في هذه المدة أيضا

فلما علم محمد على باشا بهذه الخابرات وتحقق أن الدول الاروباوية عموماً . وأنجلترا خصوصا ساعية فى أرجاع جيوشها الي مصر بصرف النظر عن كل ما فتحه من البلاد وأن فرنسا لا تمكنها مساعدته فضلا عن تعصب باقي أوربا ومضادتها بأجمعها له أخذ في الاستعداد لصد القوة بالقوة بحيث لا يسلم شبراً من الارض التي صرف ماله ورجاله في فتحها إلا مضطراً وكلف سليمان باشا بتفقد سواحل الشام وتحصينها بقدر الامكان سيما مدينتي عكا وبيروت وأمر بتعليم كافة الاهالى جميع الحركات العسكرية وحمل السلاح لكي يسهل له حفظ الامن الداخلي بواسطتهم . وصد المهاجمين بواسطة الجيش المتدرب على الحرب . ولزيادة جيشه استدعي من الاقطار الحجازية والنجدية الجيوش المصرية المحتلة لها . وأخذ أيضا في توفير الاموال من بعض وجوه توفيرها . وتخلى عن بلاد العرب وتركها هملا كما كانت لاحتياجه الي المال والرجال لانها كانت تكلفه سنويا مبلغا قدره سبعمائة الف جنيه مصري تقريبا بلا فائدة ثم أرسل الي ولده ابراهيم باشا الاوامر المشددة

بان يجتهد في اطفاء كل ثورة جزئية يبديها سكان الجبل من أى طائفة خوفاً من اشتداد الخطب في الداخل حين الاحتياج للانتباه لما يأتي من الخارج

ثم في أوائل (سنة ١٨٤٠ ميلاديه) عاودت النمسا الكرة وطلبت من الدول اجتماع مؤتمر في مدينة فينا لتسوية هذه المسألة التي اقلقت بال أوربا بأجمعها. فقبلت الدول عقد هذا المؤتمر في مدينة لندن لا في فينا وطلبت فرنسا أن يكون للباب العالى مندوب خصوصي في هذا المؤتمر مراعاة له لماله من السيادة العظمى على البلاد المتنازع بخصوصها . . . فلما اجتمع هذا المؤتمر طلبت فرنسا ابقاء الشام كلها تحت يد محمد على باشا . . . فعارضتها الحكومة الانكليزية في ذلك وأصرت على ما طلبته أولا وهو أن يعطي له الا الجزء الجنوبي منها . لكنها قبلت أخيراً بناء على الحاح فرنسا ادخال عكا ضمن هذا القسم بشرط أن يكون له مدة حياته فقط ولا ينتقل الى ورثته بل يعود الى الدولة العليه . وقبلت الروسيا والنمسا والبروسيا ذلك

ولكن فرنسا لم تقبله بحجة أن حرمان ورثة محمد علي

باشا من بلا وصرف السنين الطوال فى فتحها ليتركها لهم بعد موته مما يزيد في حنقه علي دول اوربا وربما لم يقبل هذا مقرار المجحف فتلتزم الدول باكراهه وسفك دماء العبادظلماً الامر الذى لم تجر هذه المخابرات الا لمنعة فشددت انكلترا وخصوصا اللورد بالمرستون وزيرها الاول وأبت لا رجوع ما يعطى لمحمد على باشا من البلاد الشامية الى الدولة العليه بعد موت . . ومن اسباب عدم الاتفاق وتشتت آلاراء . وضياع الوفاق الحالة على ما هى عليه لما تولى المسيو تيرس رياسة الوزارة الفرنساويه فى أول مارس سنة ١٨٤٠ ميلادية ولم يتبع خطة اسلافه فى انهاء المسألة المصرية بالاتحاد مع انكلترا بل اراد أن يضع لها حداً باتفاقه رأساً مع الباب العالي ومحمد علي باشا بأن يلزم الباب العالي أن يترك لمحمد علي باشا ولايات مصر والشام له ولذريته ويهدده بمساعدة فرنسا لوالى مصر أن لم يذعن الباب العالى لهذه المطالب

وارسل لمحمد علي باشا يخبره بأن لا يقبل مطالب انكلترا بل مركزه بالشام ويتأهب للكفاح وأن فرنسا مستعدة لنجدته لو عارضته انكلترا

فلما علم اللورد (بالمرستون) بهذه المخابرات حنق على الحكومة الفرنساوية وبذل جهده فى الاتفاق مع روسيا وبروسيا والنمسا لارجاع محمد علي باشا الى حدود مصر والزمة بالقوة أن لم يطع .. ولقد نجح اللورد (بالمرستون) في مسعاه وامضي بتاريخ « ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ ميلاديه » مع من ذكر من الدول معاهدة صدق عليها مندوب الدولة العليه مقتضاها « أولا » أن يلزم محمد علي باشابارجاع مافتحه للدولة العلية . ويحفظ لنفسه الجزء الجنوبى « ثانيا » أن يكون لانكلترا الحق بالاتفاق مع النمسا فى محصرة الشام ومساعدة كل من أراد من سكان بلاد الشام خلع طاعة المصريين والرجوع الى الدولة العلية « وبعبارة اخري تحريضهم على العصيان لاشغال الجيوش المصرية في الداخل كي لا تقوي على مقاومة المراكب النمساوية والانجليزية

« ثانيا » أن يكون لمراكب الروسيا والنمساو انكلترا معاً حق الدخول فى البسفور لوقاية القسطنطينيه لو تقدمت الجيوش المصرية نحوها

« رابعا » أن لا يكون لاحد الحق في الدخول فى مياه

البوسفور ما دامت القسطنطينية غير مهددة

« خامسا » يجب على الدول الموقع مندوبوها على هذا الاتفاق أن تصدق عليه في مدة لا تزيد عن شهرين بحيث يكون التصديق فى مدينة لوندره

* * *

وشفعت هذه المعاهدة بملحق مصدق عليه من مندوب الدولة العالية مبين فيه الحقوق والامتيازات التى تمكن منحها لمحمد على باشا . وقبل امضاء هذه المعاهدة ابتدأت انكلترا في تحريض سكان لبنان من دروز ومارونية ونصيرية على شق عصا الطاعة . وأرسل اللورد (بونسوني) سفيره لدى الباب العالى ترجمانه (وود) الى الشام لهذه الغاية . وأعلم بذلك اللورد بالمر ستون برسالة تاريخها ٢٩ يونيو سنة ١٨٤٠ ميلادية (وهذه الرسالة محفوظة في سجلات المملكة) وبمجرد وصول المستر (وود) الى محل مأموريته أخذ في نشر ذلك بين الاهالى ولقد نجح فى مأموريته وأشهر الجبليون العصيان وتجمعوا متسلحين وامتنعوا عن تأدية الخراج والمؤن العسكرية . ولكن لم

تتسع هذه الثورة الابتدائية لتداركها في أولها . فارسل المدد من مصر واهتم كل من ابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوي وعباس باشا الاول من اخمادها فاطفئت قبل أن يتعاظم أمرها وعادت السكينة فى كافة الانحاء

ومن ثم أخذ سليمان باشا الفرنساوي فى تحصين مدينة بيروت لعلمه انها أول ميناء معرضة لمراكب الانجليز . وكذلك بنى القلاع لحماية كل الثغور ووضع بها المدافع الضخمة « ولكن لسوء الحظ لم تجد هذه الاستحكامات نفعا امام مراكب الانجليز والنمسا » . . ولما علمت الحكومة الانجليزية ان محمد علي باشا مهتم في ارسال العساكر والذخائر من طريق البحر الى سواحل الشام أرادت أن تعارضه وتعاكسه أما بأخذ مراكبه الحربيه أو تشتيتها وتفريقها ليتعذر ارسال المدد برا لوجود الصحراء الرملية الماطلة بين مصر والشام من طريق العريش . فأرسلت أوامرها في اوامرها فى أوائل شهر يوليو سنة ١٩٤٠ ميلادية الى « الكومودور نابير » بان يتوجه بمراكبه الى مياه الشام ومصر لاستخلاص الاسطول التركي لو خرج من ميناء الاسكندرية : وأسر أو

حراق الاسطول المصرى لو قابله .. فلما علمت فرنسا بهذا الخبر أرسلت احدي بوارجها البخارية الي بيروت لتبليغ قائد الجيوش المصريه هذا الخبر . فرجعت فى الحال المراكب المصرية الي الاسكندرية حتى اذا وصل « السكومودور نابير » لم يجدها فاغتاظ غيظا شديدا

ويقال انه قبل أن يبارح مياه بيروت ارسل الى سليمان باشا كتابا بتاريخ ٢٤ يوليو يظهر له فيه تكدره من اجراءات القواد المصريين فى الشام ومعاملتهم الثائرين بالقسوة وانهم ان لم يكفوا عن أعماله البربرية « على زعمه » اضطر للتداخل وانزال عساكره الي بيروت . فأجابه سليمان باشا بانه لا يقبل ملحوظاته ويعلمه بانه لا يخاطبه من الآن فصاعدا واذا كان عنده ملحوظات مثل هذه فليبدها لمحمد علي باشا

* * *

ولم يبتديء شهر أغسطس سنة ١٨٤٠ ميلادية الا وقد ورد خبر معاهدة ١٥ يوليو الى مصر والشام ووردت الاوامر الي البوارج الانجليزية بمحاصرة سواحل الشام . وأسر المراكب المصرية حربية كانت أم تجارية . فعاد نابير الى

بيروت بعد أن أخذ فى طريقه كل ماقابله من المراكب فوصلها فى ١٤ أغسطس . وأعلن العساكر المصرية باخلاء بيروت وعكا فى أقرب وقت ونشر في انحاء الشام منشورا لاعلام الاهالي بكل ماقررته الدول من بقاء الشام لمصر ماعدا عكا وتحريضهم على عصيان الحكومة المصرية . واظهار ولاءهم للدولة العلية العثمانية

* * *

وفى اليوم المذكور بلغت هذه المعاهدة رسميا الى محمد علي باشا . وأتت اليه بذلك قناصل الدول الاربع المتحدة وعرضوا عليه باسم حكوماتهم أن تكون ولاية مصر له ولورثته . وولاية عكا مدة حياته وأمهلوه ١٠ أيام لاعطاء جوابه

فطلب منهم كتابة بذلك فلبوا طلبه ثم فى اليوم التالي أفهموه ان فرنسا لا يمكنها مساعدته قط . وان الدول مصممة على تنفيذ مااتفقت عليه ولو أدي ذلك الى حرب أورباوية

فلم ينزع محمد علي باشا من هذا الخبر وأصر علي عدم القبول حتي آخر نسمة من حياته

وفي يوم ٢٤ أغسطس الذي هو غاية الميعاد المعطى له .

حضر اليه القناصل ومعهم مندوب الدولة واخبروه بانه لا حق له الان فى ولاية عكا . وان الدول لا تسمح له الا بولاية مصر له ولذريته .. فاحتدم عليهم غضبا وطردهم من عنده قائلا لهم ـ كيف يجوز أن أسمح لكم بالبقاء في بلادي وانتم وكلاء أعدائى في هذه الديار ـ فانصرفوا وأعطوه عشرة أيام اخرى لابداء جوابه بحيث اذا لم يجاوب تكون الدول غير مسؤلة عما يحصل له من الضرر ... وبعد انقضاء هذه المدة بدون أن يبدي لهم جوابه كتب القناصل بذلك الى سفراء الدول باستامبول فاجتمعوا مع الصدر الاعظم .وقرروا باتحادهم أخذ مصر والشام من محمد علي باشا

وفي اثناء هذه المدة كانت فرانسا اتباعا لرأي المسيو تيرس تستعد للقتال مساعدة لمحمد على باشا . ولكن لسوء الامة المصرية كانت هذه استعدادات غير كافية ولا تتم الا بعد ستة أشهر لعدم وجود السلاح والذخائر الكافية للحرب لاسيما وان فرنسا فى هذه الحالة تكون مقاومة لاكثر دول اوروبا

ولما تحقق أهالي فرنسا أن حكومتهم لا تقوي على مساعدة محمد على باشا فعلا تعد أن جرأته على المقاومة ووعدته

بالمساعدة هاج الرأى العام على المسيو تيرس المعضد لهذه السياسة التى عادت على مصر بالضرر العظيم حتي انهم الزموه بتقديم استقالته فى يوم ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٤٠ ميلاديه . ولم تجد استقالته لمصر نفعا لوقوفها بمردها أمام اربع دول من أعظم الدول شأنا . وأعلاها مكانة . وأكثرها قوة . . وأرسلت فرنسا أوامرها لبواخرها الحربية اولا بالانسحاب الي مياه اليونان ثم بالعودة الي مصر وترك مصر والشام لمراكب انكلترا مينتها تحرق بمقذوفاتها الجهنمية

وكان رجوع المراكب الفرنساوية فى ١٩ اكتوبر سنة ١٨٤٠ أى قبل استقالة المسيو تيرس بعشرين يوما

هذا ولم تشترك الدول الاربع فى محاربة محمد على باشا بل قامت انكلترا وحدها بهذا العمل . وساعدتها النمسا والدولة العلية ببعض مراكبهما . وعساكر الاتراك البرية للنزول الي البر اذا اقتضي الحال لذلك

واما دولة بروسيا فلم يكن لها مراكب اذ ذاك والروسيا لم ترد الابتعاد عن القسطنطينيه ولما وصل الي سليمان باشا بلاغ الكومودور نابير وعلم بمنشوراته للاهالي أعلن في الحال

يجعل البلاد تحت الاحكام (العرفية) العسكرية وذلك خوفا من قيام أهل الجبل بمظاهرات اتباعا لمشورة الانجليز . وادخل في مدينة بيرو العدد الكافى من الجند . وأرسل الي ابراهيم باشا أن يحضر اليه بجيشه الذى كان معسكراً بقرب مدينة « بعلبك » ليشتركا في المدافعة عن مواني الشام . فوصل ابراهيم باشا الي بيروت وعسكر فى ضواحيها . وفي يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٤٠ وصل الاميرال « ستوبفورد » الذى كان بجول بمراكبه ميناء الاسكندرية الى مياه بيروت ليشترك مع الكومودور نابير في أطلاق المدافع على مواني الشام — وفى اليوم التالى وصلت العساكر البرية وكانت مؤلفة من الف وخمسائة من البيادة الانكليزية وثمانية آلاف من أتراك وارناؤط

وفي يوم ١١ سبتمبر انزلت العساكر الى البر في نقطة تبعد نحو ستة أميال من شمال بيروت

القسم الثانى

ابتداء الهزيمة ـ الثورات المصريه

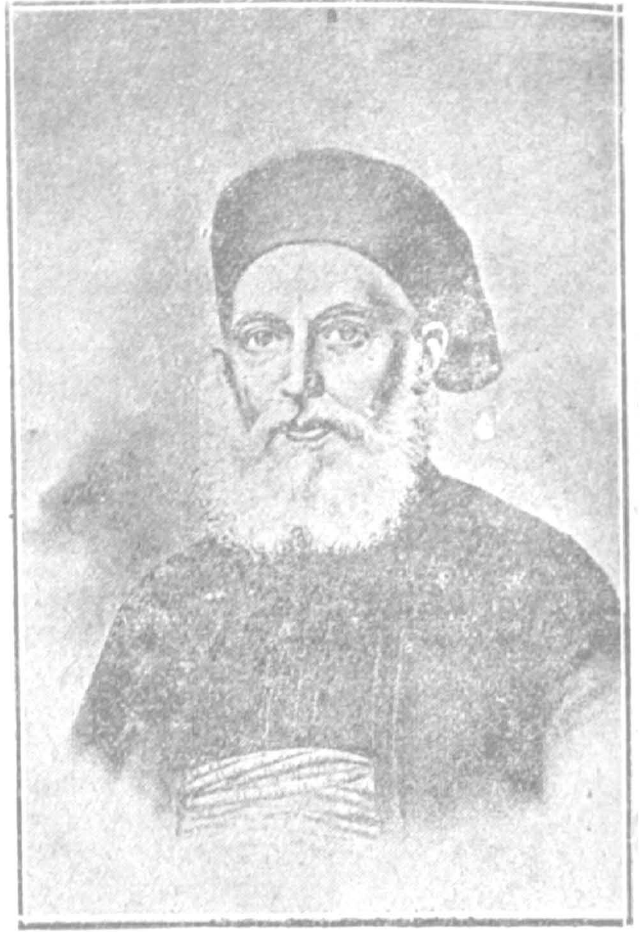
اندحار الجيش المصري

ولم يتمكن ابراهيم باشا من منعهم لوجود هذه النقطة تحت حماية المدافع الانجليزية

وفى ظهر ذلك اليوم المشؤم بعد نزول هذه العساكر الى البر أرسل الاميرالين الانجليزى والنمساوى بلاغا الى سليمان باشا بان يخلى مدينة بيروت حالا - فطلب منهم مهله ٢٤ ساعه ريثما يتفاوض مع ابراهيم باشا فى هذا الامر . فلم يقبل طلبه وابتدىء فى اطلاق المدافع على المدينة واستمر اطلاقها الى فجر اليوم التالى ولم ينقطع حتى هدم وأحرق أغلب المدينة وأحرقت كذلك كل الثغور الشامية قصد استخلاصها من محمد على باشا وارجاعها الى الدولة العلية كما كانت مع أن محمد على باشا لم يأت بأمر يدل على رغبته فى الخروج من تحت ظل الراية العثمانية . ولم يزل مؤكدا اخلاصه وولاءه للدولة العلية ولم يطالب الا ببقاء هذه الولايات له ولذريته من تبعيتهم للباب العالى ودفعهم الخراج له اعترافا ببقاء تلك التبعية ولكن الدسائس الاجنبية قامت بدورها خير قيام

ولنعد الى ما كنا عليه فان المراكب المختلطة التى انزلت الى البر فى عدة مواضع تمكنت من اخذ جميع المدن الواقعة على البحر . واخراج المصريين منها

ولما لم يجد محمد على باشا بدأ من الاذعان الى مطالب دول أوربا سيما وانه من المجازفة مقاومة هذه الدول المتحدة أصدر



البطل العظيم المغفور له ابراهيم باشا



المغفور له عباس باشا الاول



ساكن الجنان المغفور له سعيد باشا



اسماعيل باشا صديق الذى كان يلقب بالمفتش فى عهد الخديوي اسماعيل

أوامر الى ابنه ابراهيم باشا بعدم تعريض عساكره للقتال والموت بلا فائدة : واستدعاء الجنود المعسكرة فى حدود الشام والانجلاء عنها مع اتخاذ أنواع الاحتراس الكلي من العرب وسكان الجبل

فبلغ ابراهيم باشا هذه الاوامر الى القواد جميعهم وأخذ الجنود فى الرجوع من كل فج وصاروا يجتمعون حول قائدهم الاعظم ابراهيم باشا الذى قادهم الى العامل النصر والفخر

وبعد ذلك قسم الجيش عدة فرق كل واحد منها تحت امرة قائد من مشاهير القواد المشهور لهم بالبسالة والتبصر فى عواقب الامور وقفل الكل الى مصر تاركين البلاد التى سكنوا فيها دمائهم . وتركوا فيها قبور اخوانهم

وكان أبتداء عودة ابراهيم باشا بجيوشه فى أواسط شهر دسمبر سنة ١٨٤٠ ميلاديه ووصل الجميع الى مصر بعد معانوا الاهوال والمتاعب فضلا عن موت كثيرون منهم فى الطريق . بسبب مناوشات العرب لهم . ومع ذلك فقد تمكن سليمان باشا من ارجاع مائة وخمسين مدفعا بخيولها وطوبجياتها وكثير من خيول السوارى التى هلك عدد عظيم منها بسبب العطش وكثرة التعب

واما ابراهيم باشا بمن معه من الفرق فلم يمكنهم العودة الى القاهرة من طريق صحراء العريش شدة ما لاقوه اثناء مرورهم فى فلسطين من معارضة العرب لهم وسدهم الطريق عليهم واحتلالهم

جميع القناطر المبنية على الانهر حتى اضطروالمحاربتهم فى كل يوم بل وفى كل ساعة

واخيراً وصل مدينة غزه بعد أن استشهد فى الطريق ثلث من معه وكثير من المستخدمين الملكيين الذين ارادوا الرجوع الى وطنهم مع عائلاتهم . فلما وصل غزة كتب لوالده اشعاراً بقدومه وطلب منه ارسال ما يلزم من المراكب لنقل فروشه الى الاسكندرية . وما يلزم لمؤنهم وملبسهم

***

وفى اثناء هذه المدة عرض الكومورور نابير على محمد على باشا أن الحكومة الانجليزية تسعى لدى الباب العالى فى إعطاء مصر له ولوريثته لو تنازل عن الشام . ورد الاسطول الحربي التركى الى الدولة العلية . فامتثل لهذا الامر وقبل هذة الشرط لحفظ مصر لذريته وتم بينهما الاتفاق فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ ميلاديه

ولم يقبل الباب العالى هذا الاتفاق الا بعد تردد واحجام وتداول عدة مخاطبات بينة وبين وكلاء الدول الاربع المتحدة المجتمعين فى مدينة (لندن) بصفة مؤتمر . وصدر بذلك فرمان همايوني فى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١

فرمان ولاية محمد علي باشا ونظام مصر

رأينا بسرور ما عرضتموه من البراهين على خضوعكم . وتأكيد امانتكم . وصدق عبوديتكم لذاتنا الشهانية ولمصلحة بابنا العالى . فطور اختبارکم وما لكم من الدراية بأحوال البلاد المسلمة ادارتها بما تبدونه من الغيرة والحكمة فى ادارة شؤون ولايتكم على الحصول من لدنا الشاهانى على حقوق جديدة من تعطفاتنا الملوكية وثقتنا بكم فتقدرون فى الوقت نفسه احسا ناتنا اليكم قدرها وتجتهدون بيث هذه المزايا التى امتزتم بها فى أولادكم وبمناسبة ذلك صممنا على تثبيتكم فى الحكومة المصرية المبينة حدودها فى الخريطة المرسومة من لدن صدرنا الاعظم ومنحنا كم فضلا عن ذلك ولاية مصر بطريق التوارث بالشروط الآتى بيانها

من خلا منصب الولايه المصرية تعهد الولاية الى من تنتخبه سدتنا الملوكية من أولادكم الذكور . وتجرى هذه الطريقة نفسها بحق أولاده وهلم جرا . واذا انقرضت ذريتكم الذكور لايكون لاولاد نساء عائلتكم الذكور حق آيا كان فى الولاية وارثها ومن وقع عليه من اولادكم الانتخاب لولاية مصر بالارث بعدكم يجب عليه الحضور الى الاستانة لتقليدة الولاية المذكورة . على أن حق التوارث الممنوح لوالى مصر لايمنحه رتبة ولا لقبا أعلى من رتبة سائر الوزراء وحقهم . ولاحقا فى التقدم عليهم بل

يعامل بذات معاملة زملائه . وجميع احكام خطنا الشريف الهمايوني الصادر عن كلخانة وكافة القوانين الادارية الجارى العمل بها أو تلك التى سيجرى العمل بموجبها فى ممالكنا العثمانيه وجميع العهود المعقودة أو التى ستعقد فى مستقبل الايام بين الباب العالى والدول المتحابة يتبع الاجراء على مقتضاها جميعها فى ولاية مصر ايضا وكلما هو مفروض على المصريين من الاموال والضرائب يجرى تحصيله باسمنا الملوكى ولكى لا يكون اهالى مصر وهم من بعض رعايا بابنا العالى معرضين للمضار والاموال والضرائب غير القانونية يجب أن تنظم تلك الاموال والضرائب المذكوره بما يوافق حالة ترتيبها فى سائر الممالك العثمانية . وربع الايرادات الناتجة من الرسوم الجمركية ومن باقى الضرائب التى تتحاصل فى الديار المصرية يتحصل بتمامه . ولا يخصم منه شئ ويؤدى الى خزينة بابنا العالى العامر والثلاثة الارباع الباقية تبقى لولايتكم لتقوم بنفقات التحصيل والادارة المدنية والجهادية ونفقات الوالى وبأثمان الغلال الملزمة مصر بتقديمها سنويا الى البلاد المقدسة مكة والمدينة ويبقى هذا الخراج مستمرا دفعه من الحكومة المصرية بطريقة تأديته المشروحة من خمس سنوات تبتدى من عام ١٢٥٧ ميلادية . ومن الممكن ترتيب حالة اخرى بنشأتهم فى مستقبل الايام تكون أكثر موافقة لحالة مصر المستقبلة ونوع الظروف التى ربما تجد عليها . ولما كان من واجبات بابنا العالى

الوقوف على مقدار الايرادات السنوية فى تحصيل العشور وباقى الضرائب . وكان الوقوف على هذه الاحوال يستلزم تعيين مراقبة وملاحظة فى تلك الولاية فينظر فى ذلك فيما بعد ويجرى مايوافق ارادتنا السلطانية . ولما كان من اللازم ان يعين بابنا العالى ترتيباً لسك النقود لما فى ذلك الاهمية بحيث لايعود يحدث فيها خلاف لامن جهة العيار ولا جهة القيمة اقتضت ارادتنا السنية أن تكون النقود الذهبية والفضية الجائز لحكومة مصر ضربها باسمنا الشاهاني معادلة للنقود المضروبة فى ضربخانتنا العامرة بالاستانة سواء كان قبيل عيارها أو من قبيل هيئتها وطرزها

ويكفى أن يكون لمصر أوقات السلم ثمانية عشر الف نفر من الجند للمحافظة في داخلية مصر ولا يجوز أن تتعدى ولا يتحكم هذا العدد . ولكن حيث أن قوات مصر العسكرية معدة لخدمة الباب العالى كسائر قوات المملكة العثمانية . فيسوغ ان يزاد هذا العدد فى زمن الحرب بما يرى موافقا فى ذلك الحين على انه بحسب القاعدة المتبعة في كافة ممالكنا بشأن الخدمة العسكرية بعد أن تخدم الجند مدة خمس سنوات يستبدلون بسواهم من العساكر الجديدة فهذه القاعدة يجب اتباعها أيضا فى مصر بحيث ينتخب من العساكر الجديدة الموجودة فى الخدمة حالا عشرون الف رجل ليبتدئوا الخدمة فيخفف منها ثمانية عشر الفا فى مصر وترسل الالفان لها لاداء مدة خدمتهم .وحيث أن خمس والعشرين

ألف رجل واجب استبدالهم سنويا فيئوخذ دائما من مصر اربعة آلاف رجل حسب القاعدة المقررة من نظام العسكرية حين سحب القرعة بشرط أن تستعمل فى ذلك مواجب الانسانية والنزاهة والسرعة اللازمه فيبقي فى مصر ثلاثة الآلاف وسمايه من الجنود الجديدة والاربعمائة يرسلون الى هنا . ومن أتم مدة خدمته من الجنود المرسلة الى هذا الطرف ومن الجنود الباقية فى مصر يرجعون الى مساكنهم . ولا يسوغ طلبهم للخدمة مرة ثانية . ومع كون مناخ مصر ربما يستلزم اقمشة خلاف الاقمشة المستعملة لملبوسات العساكر فلا بأس من ذلك فقط يجب أن لاتختلف هيئة الملابس والعلامات التميزية ورايات الجنود المصرية عن مثلها من ملابس ورايات باقى الجنود العثمانية وكذا ملابس الضابطان وعلامات امتيازهم .وملابس الملاحين. وعساكر البحرية المصرية ورايات سفنها يجب أن تكون مماثلة للملابس ورايات وعلامات رجالنا وسفننا ... وللحكومة المصرية أن تعين ضباطاً برية وبحرية حتى رتبة الملازم . اما ماكان اعلى من هذه الرتبة فالتعيين اليها راجع لارادتنا الشهانية . ولا يسوغ لوالى مصر ان ينشى من الآن فصاعداً سفنا حربية الا بأذننا الخصوصى. وحيث أن الامتياز المعطى بوراثة ولاية مصر خاضع للشروط الموضحة اعلاه . فى عدم تنفيذ احد هذه الشروط موجب لابطال هذ الامتياز والغائه فى الحال وبناء على ذلك قد اصدرنا خطنا هذ

الشريف الملوكى كي تقدروا أنتم وأولادكم قدر احساناتنا الشاهاني فتعتنوا كل الاعتناء باتمام الشروط المقررة فيه وتحموا أهالى مصر من كل فعل اكراهى وتكفوا امنيتهم وسعادتهم من التحذر من مخالفة اوامرنا الملوكية واخبار بابنا العالى عن كل المسائل المهمة المتعلقة بالبلاد المعهودة ولايتها لكم

(فرمان ولايته على السودان)

ثم صدر بعد ذلك فرمان آخر يثبت ولايته على النوبة ودارفور وكردوفان وسنار نذكره هنا بنصه

أن سدتنا الملوكية كما توضح فى فرماننا السلطانى السابق قد ثبتتكم على ولاية مصر بطريق التوارث بشروط معلومه وحدود معينة وقد قلدتكم فضلا عن ولاية مصر مقاطعات النوبة ودارفور وكردوفان . وجميع توابعها وملحقاتها الخارجة عن حدود مصر ولكن بغير حق التوارث . فبقوة الاختبار والحكمة التى امتزتم بها . تقومون بادارة هاته المقاطعات . وترتيب شؤنها بما يوافق عدالتنا . وتوفير الاسباب الآيلة لسعادة الاهالين وترسلون فى كل سنة قائمة الى بابنا العالى حاوية بيان بيان الايرادات السنوية جميعها وحيث انه يحدث من وقت لآخر أن تهجم الجنود على قرايا المقاطعات المذكوره فيأسرون الفتيان من ذكور وانات ويبقونهم فى قبضة يدهم لقاء رواتبهم

وحيث أن هذه لامور مما تنضى معها الحال ليس فقط لانقراض اهالى تلك البلاد وخرابها بل انها امور مخالفة للشريعة الحقه المقدسة وكلاهاتين الحالتين ليست أقل فظاعة من أمر آخر كثير الوقوع وهو تشويه الرجال ليقوموا بحراسة الحريم ذلك مما ليس ينطبق على ارادتنا السنة مع مناقضته كل المناقضة لمبادىء العدل والانسانية المنتشرة من يوم جلوسنا المأنوس على عرش السلطنة السنية فعليكم مداركة هذه الامور بما ينبغي من الاعتناء لمنع حدوثها فى المستقبل ولا يبرح عن بالكم ان فيما عدا بعض اشخاص توجهوا الى مصر على اسطولنا الملوكي . قد عفوت عن جميع الضباط والعساكر وسائر المامورين الموجودين في مصر نعم بموجب فرمان السلطان السابق أن تسمية الضابطان المصرية لما فوق رتبة المعاون تستلزم العرض عنها لاعتابنا الملوكية الا انه لا يأس من ارسال بيان باسماء من رقيتم من ضباط جنودكم الى بابنا العالى كي ترسل لهم الفرمانات المؤذنة بتثبيتهم فى رتبهم . هذا ما نطقت به ارادتنا السامية فعليكم الاسراع فى الاجراء على مقتضاها

فاصبحت حكومته بعد ذينك الفرمانين محصورة فى مصر والسودان وبمقتضى ذلك تنازل محمد على باشا عن عشرة الآف من جنود سوريا فلم يبق عنده الا ثمانية عشر الفا بين مشاة وفرسان وغيرهم . فاضطر اذ ذاك الى الاقتصاد لاصلاح ماليه

البلاد . فأوقف كثيراً من المدارس العمومية التى كان قدخصص لها مبالغ معلومة للنفقة عليها ومن ضمنها مدسة شبرا الزراعية وأبدل الاساتذة الاورباويين لما بقى من المدارس باساتذة اتراك ووطنيين . وسار من ذلك الحين فى خطة الاصلاح قانعا بما قسم له من البلدان فعمل على ارضاء جلالة السلطان فأنفذ الى جلالته ابنة سعيد باشا لتقديم فروض العبودية

الوباء فى القطر المصري

واصيبت فى عام ١٨٤٤ ميلادية بضربات وبائية فى مواشيها وفى السنه التالية سطا عليها الجراد فأهلك مزروعاتها فتضايقت البلاد حتى كثرت مهاجرات الناس سنة ١٨٤٤ م لتعذر دفع الرسوم المطلوبة منهم والحاح الحكومة فى طلبها بكل واسطة

وكانوا اذا خلت قرية من اهلها اضافو رسومها على القرية التى بجانبها فكثر اللغط فى البلاد كل ذلك من سوء تصرف العمال ومحمد باشا غير عالم بشى لانهم لم يكونوا يطلعونه على حقائق الامر خوفا من تأثير الغضب عليه لانه كان قد طعن فى السن ومل معاطاة الاحكام . فرأى ابراهيم باشا أن اخفاء تلك الاحوال عن ابنه ربما يؤول الى خراب البلاد فأخذ على نفسه القيام بتبليغ ذلك اليه فكلف شقيقه فى ٢٥ يونيو سنة ١٨٤٤ أن تبلغ اياها بطريقه غير رسمية ما وصلت اليه البلاد من العسر وما

نتج من ذلك من التشكيلات والتظلمات المتواترة . فاشتغل محمد باشا غيظا وحمل هذا البلاغ على مكيدة اعدوها له فبارح قصره الى الاسكندرية. وسارتوا إلى قرية صهرة محرم بك بجانب الترعة المحمودية وجعل تغلظ فى القول على مسمح من كان حاضراً هناك مصرحا انه محاط بقوم خائنين ولذلق فهو مستعد للتخلى عن الحكومة والذهاب الى مكة : فحاول ابناه ابراهيم باشا . وسعيد باشا مخاطبته واستعطافه فلم يصغ . فجاء سامى باشا وكان من أعز اصدقائه وخاطبه فلم يقنع الا بما سبق اليه فهمه وأن ذلك لم يحصل الا عن خونة تدس السم فى الدسم . فاستنتج الحضور من تلك الاعمال انه أصيب بتغير فى عقله

ثم ترك محمد على باشا القرية وسار فى بعض حاشيته وطبيبه قاصدا القاهرة فتحدث الناس فى الاسكندرية وعرضوا على ابنه ابراهيم باشا أن يتولى مكانه فأجاب انه لا يقبل ذلك طالما كان ابوه حياً

ولما جاء محمد على باشا الى القاهره كان قد عاد الى روعة وفطن لنفسه . فجمع اليه رجال ماليته ووبخهم لاخفائهم تظلمات الاهالى عنه . ثم تداخل ابراهيم باشا فى الامر وصرف المشكل

وفى صيف سنة ١٨٤٥ م اصيب ابراهيم باشا بانحراف فى صحته فسار الى اوروا ترويحا للنفس فأصاب ترحابا عظيما فى الممالك الاوربية ولا سيما فرنسا وانكلترا وعاد الى مصر فى اواخر

صيف سنة ١٨٤٦ ميلاديه . وكان والده قد توجه قبل وصوله بيسير الى الاستانه بدعوة رسمية ليقدم عبوديته لجلالة السلطان فوصلها فى ١٩ يوليو سنة ١٨٤٦ م . ونزل فى سراى رضا باشا ثم تشرف بالمثول بين يدى أمير المؤمنين فترحب به ولما اراد تقبيل الاعتاب الشهانية امسكه أمير المؤمنين وأجلسه بجانبه ومكث معه ساعة يتحادثان . ثم انصرف شاكرا وزار عدوه القديم خسرو باشا وتصافيا

وفى ١٧ اغسطس من تلك السنة بارح الاستانه قاصداً قوله مسقط رأسه فأقام فيها عده ابنيه لتعليم الفقراء . واعانة الضعفاء والمساكين . ثم بارحها الى الاسكندرية فاحتفل به احتفال هائل وسار منها الى القاهرة فتقاطر اليه المهنئون من الاصدقاء أفواجا . فكان يستقبلهم وعلى صدره الطغراء الشهانية تتلألأ كالشمس

وفى سنة ١٨٤٨ ميلاديه توعك مزاج محمد على باشا وازدادت فيه ظواهر المرض . فلم يعد ثم من بدّ تولية ابراهيم باشا . فتوجه هذا الى الاستانة فى اغسطس من تلك السنة لاجل تثبيته على ولاية مصر خلفا لابيه فثبته السلطان بنفسه فعاد واستلم الاحكام . وكان مهيبا اكثر مما كان محبوبا بخلاف والده الذى كان مهيبا ومحبوبا معا ثم راجعه العياء . واشتد عليه بغتة ففارق هذا العالم فى اول نوفمبر سنة ١٨٤٨ م . وبعد وفاته باحدى عشر ساعه دفن فى مدفن العائلة بجوار الامام الشافعي

وكان عباس باشا غائباً فى مكة فاستقدم حالا لاستلام زمام الاحكام فوصل القاهرة فى يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٤٨ ميلاديه بعد أن قضى فروض الحج

وبما انه أكبر ابناء العائلة لم يكن ثم اعتراض على توليته فجاء الفرمان الشاهانى من الاستانة مؤذنا بذلك فتولى حكم مصر

كل ذلك ومحمد على باشا فى الاسكندرية وقد أخذ منه العياء والكبر مأخذا عظيما ... وما زال يهزل جسما وعقلا حتى يوم (١٢ اغسطس سنة ١٨٤٩ ميلاديه الموافقة لسنة ١٢٦٥ هجرية فتوفى . . . . ولم يستغرب الناس نبأ وفاته لانه مكث فى حالة النزع مدة طويلة . وفى صباح اليوم التالى تقاطر الناس الى سراى رأس التين فى الاسكندرية لحضور مشهد ذلك الرجل العظيم ولقد كانت جثته فى قاعة الاستقبال الكبيرة موضوعة فى محمل تغطيه الشيلان من الكشمير . وعلى صدره سيفه والمصحف الشريف وعلى رأسه طربوشه الجهادى . أحمر تونسى وحوله ؟ من العلماء بالملابس الرسمية يتلون القرآن بانغام محزنة . . . . وكان سعيد باشا أكبر من وجد فى الاسكندرية من عائلة الفقيد فكانت توجه نحوه خطابات التعزية . . . . ثم نقله سعيد باشا الى القاهرة ودفنه فى جامعه فى القلعه

ولم يكن الجامع تام البناء كما هو عليه الآن فأتمه اولاده ولا تزال جثة محرر مصر العظيم فيه الى الآن

ذلك هو عهد محمد على باشا الكبير . حاكم مصر العظيم . ومؤسس مدينتها الحديثة

(عباس باشا الاول)

هو عباس باشا ابن طوسن باشا ابن محمد على باشا ولد سنة ١٨١٣ ميلاديه . وربي أحسن تربية وكان محبا لركوب الخيل فرافق عمه ابراهيم باشا فى حملته الى الديار الشامية . وشهد أكثر الوقائع وفي ديسمبر سنة ١٨٤٨ ميلاديه تولى الاريكة المصرية واستلم زمام الاحكام

وكان على جانب عظيم من العلم والمعرفة على أنه كان كثير الاعتقاد بالخرافات والكهانة والسحر

ومن مشروعاته المهمة الشروع فى انشاء الخط الحديدى بين مصر والاسكندرية . وتأسيس المدارس الحربية فى العباسية ومد الخطوط التلغرافية لتسهيل سبل التجارة وغير ذلك على أن عصره كان عصر فتن ودسائس وهدم فقد أقفل فى يوم واحد جميع معامل القطن والاقمشة والكتان والاجواخ والحرير والمقصبات التى انشأها جده محمد على باشا وشرد من كان بها من الصناع والعمال

وكان ينقاد بكليته الى آراء الجنرال ميرى قنصل انجلتره

الذى ماكان ليشير عليه بأمر الا لصالح بلاده وطرق مواصلاته مع الهند . وفى أيامه كانت بين الدولة العلية والروسيا حرب فبعث لنجدة الدولة حملة مصرية كبيرة

على أنه كان يتمنى هزيمة الدولة طمعا فى استقلال بلاده (مصر)

وتوفى عباس باشا الاول فى شهر يوليو سنة ١٨٥٤ ميلادية وقيل انه مات قتيلا بأيدى غلمانه ودفن فى مدفن العائلة الخديوية بمصر

(محمد سعيد باشا)

(سنة ١٨٥٤ ميلادية الى سنة ١٨٦٣ ميلادية)

هو ابن محمد على باشا ولد فى الاسكندرية سنة ١٨٢٢ ميلادية وجلس على الاريكة المصرية سنة ١٨٥٤ ميلادية . وذلك انه لما ورد اليه خبر وفاة عباس باشا كاد لا يصدقه . لولا ترادف رسائل التهنئة التى كانت تنهال عليه من جميع انحاء القطر فجمع اليه قناصل الدول وجاء بهم من الاسكندرية الى القاهرة . وبينما هو فى الطريق وصلت اليه بعض الاخبار بأن أحد اخصاء عباس باشا تعاهد مع أمير جند قلعة الجبل على غلق ابواب القلعة ومنعه من دخولها وأنه أرسل فى استدعاء الهامى ابن عباس باشا من اوربا ليتولى زمام الحكم

فلما ان وصل سعيد باشا الى القاهرة لاقاه جميع رجال الدولة وعظماء البلاد والعلماء والمشايخ وساروا فى ركابه الى القلعة ومعه قناصل الدول . وبعض كبار الاجانب ففتح لهم أمير جندها الابواب وقابله الجند بالسلام وسرعان ماطار الخبر بولايته فى يوم ١٧ يوليه سنة ١٨٥٤ ميلاديه ... ولم يسع مدبروا أمر الامير الهامى الا ان يموتوا كمداً

ولما استقر بسعيد باشا الحال واتاه فرمان السلطان أحسن التدبير . واحكم السياسة ورتب أمور البلاد على مافيه المصلحة لاهلها . فرد جميع الاراضى التى كانت قد أعطيت الى كبار المأمورين وأرباب الدولة فى عهد ابراهيم باشا وعباس باشا الى اصحابها من الفلاحين وأبطل الكثير من المكوث . والمغارم . والضرائب الفادحة . وازال البدع والاحدوثات التى كادت تدمر البلاد ورتب الخراج . ورفع المتأخرات والبقايا من الاموال الاميرية على الفلاحين . ورد المشردين منهم الى اوطانهم وأمن الطرق وسهل سبل التجارة

وكان يحب الجندية . ويميل اليها كل الميل فبالغ فى تنظيمها واكثر من عدد رجالها . وألبسهم خير لباس . وسلحهم بأحدث طراز من السلاح وانشأ فرقة من السود كانت على أكمل هيئة وأبدع نظام . وجعل الجند على تمام الاهبة فما كان ليستقر له مقام .... وبالجملة أصبح الجيش المصرى من أحسن جيوش

العالم طاعة ونشاطاً . وخفة ونظاماً وملبساً ومأكلاً وتدربة . وقد أخضع جيشه هذا كل ماقام من الفتن بالديار المصرية حتى استتب الامن وهدأت الحال .

وقد نظر الى حالة موظفى الحكومة ومستقبل ارباب الدولة فرتب لهم قانوناً كافلا لمعاشهم اذا تقاعدوا عن الخدمة فكان من أكبر النعم وأجل المزايا التى لايعادلها شىء من جميع موظفى الدولة وقد اعاد بعض ما ابطله عباس باشامن المعامل والمدارس الملكية والعسكرية وسواها من اسباب عمران الدولة واركان رقيها

ولقد كان المسيو فردينانددلسيس صديقا حميما لمحمد سعيد باشا . وكان أول عهد الصداقة بينهما فى باريس اذ ارتبطا بعلاقات حب اكيد .واخلاص شديد . فكاناالصدقاء فى المدرسة وكذلك بعد خروجهمامن المدرسة كانا يقضيان الوقت معا . وكان سعيد باشا اكثر محبة لدلسبس . وامتدت جذور هذه الصداقة عند حضور دلسبس ملحقا بالقنصلية الفرنسية بمصر في عهد حكم عباس باشا الاول . وهكذا قدر اللهلمصرأن يكون مصابها بالصداقة كبيراً . اذ امنت المطامع فى مخيلة دلسيس بانشاء قنال السويس . أن هذا الانشاء كان فى فكرة غيره من اهل الرأى منذ عهد القراعنة الى ما بعد فتح مصر على يدقائد الجيوش الاسلامية عمرو ابن العاص فى خلافة أمير المؤمنين عمر ابن

الخطاب رضى الله عنهما . . فلم يتمكنا من انفاذ المشروع الخطير الذى ضر مصر ماليا وسياسيا فكان هو السبب فى تداخل الانجليز فى شؤوننا بحجة حماية المواصلات الهنديه . أن الذى لم يتمكن احد من فعله . تقدم اليه دلسبس بمناسبة الصداقة التى بينة وبين الجالس على الاريكه المصرية تقدم فرديناند دلسبس بمشروعه وعرضة على مسامعه الكريمة بصفته مشروع حفر قنال السويس يصل البحر الابيض بالبحر الاحمر مبتدئا من مدينة السويس الى ما يجاور الاشتوم الجميلة على ساحل البحر الابيض المتوسط ... والح على سعيد باشا فى ذلك ... على أن سعيد باشا عد هذا المشروع مما لا يمكن تحقيقه . ولكنه طاول دى لسبس ومناه مما شدد عزيمة دى لسبس فى الالحاح فى الطلب . والاكثار من التردد على مقر سعيد باشا الذى كثر ما وردت اليه من الرسائل طعنا فى اعمال دى لسبس والاستهزاء بمشروعه . والسخرية منه

وقد اكثرت انكلترا من التنديد بهذا العمل الخطير واندفعت صحفها تساق دى لسبس بالسنة حداد . وتبالغ فى الهجاء والسخرية . فمنهم من سماه سيزوستريس القرن التاسع عشر . ومنهم من قال هو اسكندر المقدوني وغيرهم من الفاظ التهكم والبذاء

على أن ذلك لم يكن ليرجع دى لسبس عن عزمه . ولم

تغتر له همة . وثابر على الالحاح حتى وعد سعيد باشا خيراً ومناه

فلما كان يوم ٥ نوفمبر سنة ١٨٥٤ رفع دى لسبس كتابا الى سعيد باشا يقول فيه يامولاى

كتاب دى لسبس الى سعيد باشا

لقد طالما اشتغل عظماء العالم باسره لاسيما ملوك مصر الاولين بامر ايصال البحر الاحمر بالبحر الابيض المتوسط . وقد اثبت التاريخ ماقيل عن سيزوستريس فرعون مصر الشهير . والاسكندر المقدونى . وقيصر ملك رومية . وعمرو ابن العاص وبونابرت ووالدك محمد على باشا انهم قد بذلوا جهدهم فى سبيل انجاز هذا المشروع الخطير . وقد تم لبعضهم ما اراد فأوصلوا البحرين بعضهما بواسطة ترعة تمر بالنيل وبقيت هذه الترعة مدة غير طويلة فى منتصف القرن التاسع قبل الهجرة المحمديه . ثم علاها التراب فطمها وامتنع جريان الماء بها فتعطلت وبطل نفعها . ثم قام بعضهم بعد ذلك واعاد هذا الاتصال . فبقى زهاء اربعمائة سنة وخمس واربعون سنه فى ايام خلفاء الاسكندر المقدونى على ديار مصر . ولبث الحال على ذلك الى القرن الرابع قبل الهجرة المحمدية ثم على التراب وطمها حينا حتى دخل عمرو ابن العاص مصر بجيوش المسلمين فأخذ بأطراف هذا الامر العظيم . ونهض الى استرجاع ذلك الاتصال ففاز ونجح وجرى الماء فيه فعبرته السفن

مائة وثلاثين سنة ولقيام الفتن وتوالى البلايا والمحن علاه التراب فطم وامتنع سير السفن منه

ولما دخل بونابرت امبراطور فرنسا الشهير بجيوشه ديار مصر وشاهد بعيني رأسه موقع ذلك الاتصال . ود لو استطاع ارجاعه فينال شهرة عظيمة الا يمحوها كرور الايام والسنين . فعمد على تشكيل هيئة من كبار المهندسين وأماثل علماء الاثار واتي بهم من الديار الاوروباوية لينظروا فى انجاز هذه الامنية وسألهم اذا كان فى الامكان ارجاع ذلك الاتصال بشرط أن لا يضر بالنيل . فأجابوه الى ذلك . وفى ذاك الحين رفع احد هؤلاء العلماء المسيو لوبير تقريرا اضافيا عما ظهر لهم من البحث والتنقيب وما يحتاجه هذا العمل الخطير من النفقة ... فلما اطلع عليه بونابرت صاح قائلا انه لعمل يستحق مزيد العناية والاهتمام ويجب على انجازه . ولكن من اين لي النفقة الآن ويدى خالية . فعسى ان يأتي يوم تعود فيه السلطنة العثمانية الى سابق مجدها وغناها فتمد ذلك الاتصال فيخلدها ذكرها على ممر الاعوام

وها يامولاى قد آن الآوان وجاء اليوم الذى قال عنه الشهير بونابرت . نعم . ان العمل خطير . ولكن انجازه سيكون داعيا الى ظهور شأن السلطنه العثمانية ورفعة كلمتها واتساع شهرتها . فتقطع السنه القائلين بقرب سقوطها . وزوال مجدها ويرجعون فيعلمون انها مابرحت صاحبة الكلمة المسموعة . والقول الفصل

الذى لايرد ويخلد لها الذكر الحسن فى بطون التواريخ الجامعة لحوادث المدنية والعمران .. ولاخفاء ان اجتماع دول اوربا على الذب عن الاستانة وحفظها مقراً للسلطنة العثمانية والذود عن ذمارها ورغبتها فى بقاء السلطنة المشار اليها زاهرة موفقة معززة قوية على خصومها وقيامها لنصرتها عنداى حادث بالنفس والنفيس وركوبها على عدوها لقتاله وارجاعه الى الطاعة. والخلود الى السكون انما هذا كله نظراً الى بوغاز السويس من خطارة المركز . وأهمية الموقع الذى يفصل مابين البحرين . وحذر من وضع يد احداهن عليه فتصبح هى المالكة المتسلطة على بقية الديار فتنتقض المساواة وتختل المساواة وتختل الموازنة المتفق عليها بين الدول الغربية التى يهم العالم بأسرة حفظها بين الدول الكبرى . ولعمرى اذاكان البوغاز المذكور هو سبب تكاتف سائر الدول على معاونة السلطنة العثمانية .والاهتمام بأمرها فكيف بها لو جعلت مصر مركز العالم بأسرة ومحط رحال التجارة وطريق العالمين الغربى والشرقى بالجمع بين البحرين فلا بد وان يزداد شأنها علواً وقدرها خطارة . ومقامها أهمية لدى أهل السياسة اذ تصبح مفاتيح العالم بأسرة فى يدها ولا خوف عليها فانه متى تم حفر ذلك الاتصال قام جميع الدول بجعله حراً مباحاً للجميع سواء.وجعلته تحت رعاية الدولة العلية دون سواها اذ هى صاحبة الدار . وقدكان المسيو لوبير من نحو الخمسين

سنه قد عاد الفعلة اللازمين للعمل فى الاتصال المذكور بعشرة آلاف . وضرب لهم أجلا لانجازه زهاء اربع سنوات . وقدر مايحتاجه من النفقة ثلاثين أو أربعين مليونا من الفرنكات. وقال أنه يمكن أتصال البحرين بواسطة ترعة على خط مستقيم وأما المسيو طلابوت الذى سبق انتدابه لهذا الغرض ضمن الثلاثه المهندسين المشهورين الذى سيرت بهم الجمعية الفرنساوية التى تأسست بفرنسا من نحو العشر سنين للنظر فى هذا الموضوع فقد رآى له جعل الترعة المذكورة واصلة من مدينه السويس الى الاسكندرية حيث تمر بالنيل على القناطر الخيريه . وقدر للنفقة على هذا العمل ماية وثلاثين أو مايه واربعين مليونا من الفرنكات . ونحو عشرين مليونا اخرى لعمل ميناء ورصيف بمدينة السويس . . . واما لينان بك الموظف بخدمه الحكومة المصرية الموكول منذ ثلاثين سنة حفر الترع . وتقوية الجسور ونحوه فقد اشتغل بامر البحث عن اعادة الاتصال المذكور بحثا مدققا مع ما هو عليه من الدراية والخبرة المشهورة له بها فى جميع الدول فترآءى له صلاحية مد ترعة بحيث تمر ببحيرة التمساح . وأن يعمل بالبحيرة المذكورة ميناء ترسى فيها السفن الآتيه من بيلوز التى هى آتية الى البحر الاحمر أو من السويس الى البحر الابيض المتوسط . وكذلك العلامة الشهير كاليس بك مهندس الحصون والقلاع المصريه على عهد المرحوم ابيك . قد كان رفع الى ابيك

رحمه الله مشروع حفر ذلك الاتصال على شكل خط مستقيم وعمل له رسم عن ذلك بقلم العلامه لينان بك المشار اليه وموجيل بك مهندس اشغال القناطر الخيرية والكبارى والجسور المصرية وما من هؤلاء الا وكان يطلب لوالدك المبرور فى مدح هذا العمل وما ينجم عنه من الفوائد الجمة . وفوق ذلك فانه فى سنة اربعين وثمانمائة والف ميلادية استدعى الكونت ذى والوسكى الذى كان وقتئذ نزيل الديار المصرية والمسيو كاليس المومى اليه وكلمه فى أمر هذا الاتصال فرفع اليه كاليس تقريراً بما يراه ولكن قد حالت يومئذ دون انجاز هذا المشروع موانع لا وجود لها اليوم

ولما كان من الواجب علينا أن ندقق البحث ونمعن النظر مع التأمل فى جميع آراء اؤلئك العلماء الافاضل والمهندسين الاماثل مع مراعاة أن هذا المشروع المهم قابل للانجاز على أحسن حال . وتم منوال أن نختار منها أسدها وأصوبها . وأقواها حجة وبرهاناً فنعمل به . وليعلم مولاى حفظه الله أن المواقع المرابك والعقبات التى طالما اقلقت القدماء واضعفت عزائمهم وحالت بينهم وبين انجاز هذا العمل الجليل قد زالت اليوم وهب انها لم تزل باقية بعضها أوكلها . فان تحمل الصعاب مع الصبر والجلد فى سبيل انجاز هذا الامر الخطير لهو من اوجب المواجب . بل من المطالب بقى اذا علينا أن ننظر فى أمر النفقة وهذا ايضا

ليست بالامر البعيد فانه لا يصعب على أولى الحزم والعزم حل
عقدتها على أحسن ما يرام اذ ستكون ارادات ذلك الاتصال
اضعاف اضعاف ما سينفق عليه . وعلى ذكر هذه المسئلة الثانوية
فليسمح لى مولاى أو أمه الله بان آتي اليه بالبيان الآن بعد .
فيتضح لسموه أن المصاريف التى يحتاجها عمل ذلك الاتصال
لا تعد شيئاً فى جانب الفوائد المهمة والمنافع الجمة المترتبة
على اعادته فضلا عن كونه سيقصر المسافة الواقعة ما آسيا
واسية . وبين اوربا وأمريكا . وهذا البيان قد سطره
الاستاذ الشهير والجيواجي الماهر المسيو كورديه

آخرمين أوروبا وامريكا	المسافة مابين المين المذكوره الى بومباي من المحيط الاطلانطيق	من طريق الاتصال الجديد	الفرق للطريقين بالفرسخ
قسطنطينيه	٦١٠٠	١٨٠٠	٤٣٠٠
مالطا	٥٨٠٠	٢٠٦٢	٣٧٧٨
تريستا	٥٩٦٠	٢٣٤٠	٣٦٢٠
مارسيليا	٥٦٥٠	٢٣٧٤	٣٢٧٦
كاديش	٥٢٠٠	٢٢٣٤	٢٩٧٦
ليسبون	٥٣٥٠	٢٥٠٠	٢٨٥٠
بوردوا	٥٦٥٠	٢٨٠٠	٢٨٥٠
هافر	٥٨٠٠	٢٨٢٤	٢٩٧٦
لوندره	٥٩٥٠	٣١٠٠	٢٨٥٠
ليفربول	٥٩٠٠	٣٠٥٠	٢٨٥٠
امستردام	٥٩٥٠	٣١٠٠	٢٨٥٠
سان بطرس برج	٦٥٥٠	٣٧٠٠	٢٨٥٠
نيويورك	٦٢٠٠	٣٧٦١	٢٤٣٩
نيوفيل	٦٤٥٠	٣٧٢٤	٢٧٢٦

ولقد وافق على هذا التقرير سائر المندسين واجمعوا على دقة ضبطه وقرروا بانه يهم جدا سائر بلاد أوربا وأمريكا والهند والعالم باسره اعادة هذا الاتصال . وليعلم مولاى أن لا عمل فى بلاده اكثر خطارة . ولا أعظم فائدة . ولا أجل شأنا من هذا العمل العظيم . فليعمل مولاى على ذكر اسمه فى مصاف اولئك الذين تملكوا على ديار مصر وينجز هذا المشروع فى ايامه فيزدان حكمه بما لم ينله غيره من قبل . وتسعد الامه المصرية فتتجه نحوها الابصار . وتمد اليها الاعناق . ويناوى باسم مولاى انحاء المعمورة . ويخلد ذكره فى التواريخ وينال من الشهرة ورفعة القدر مالم ينله الفراعنة الذين شايدوا الاهرام والهيا كل الضخمة التى لا فائدة فيها للنوع الانسانى كالفائد المترتبة من عادة ذلك الاتصال وانما هى مبان تدل على القدرة التى سخرت كل نوع لحذقها واظهار مجدها . ومن فؤاد هذا الاتصال العظيمة التى لا ينكرها مكابر تسهيل طريق الحج الى بيت الله الحرام وتعلق الناس بفين الملاحة وتسيير السفن واتقان السباحة فى ارض البحار فيتسع نطاق التجارة . وتتفتح أبواب الرزق على أهل البلاد المصرية . . ويعم نفع ذلك جميع البلاد الواقعة على ساحل القلزم وخليج العجم . وشرقى افريقيا ومملكة سيام وشنتين واليابان ومملكة الصين البالغ عدد سكانها زهاء اربعمائة مليون فضلا عن جزائر فيلبين وأوستراليا وجميع جزائر البحر

المتوسط التى هاجر اليها الكثير من الاورباويين فتجرى المواصلات بينها جميعا وتسعد حالها

هذا ولقد ظهر من الاحصاآت المدققة أن ماتنقله السفن الاورباوية فى كل سنة عن طريق رأس الرجاء الصالح ورأس هارون لايقل عن الستة ملايين طونلاطة فاذا سارت هذه السفن بطريق خليج العجم وترعةالسويس المراد انشاؤها زاد نقلها من ذلك زيادة عظيمة وكان الدخل المتحصل منها زهاء المائة وخمسين مليوناً من الفرنكات باعتبار عشرة فرنكات عن كل طولوناطه وربما زاد الدخل عن ذلك كلما انتظم سير السفن بالترعة المذكورة وحسنت الملاحة فيها . ويجب مراعاة أن عادة هذا الاتصال بين البحرين يهم جداًدولةالانجليز التى هى سيدة البحار . واغنى سائر العالم مالا واكثرهم تجارة واكبرهم رغبة فى تقريب الاتصال تضر جداً بمصالح الانجليز وتحط بها لانها تقرب العالم بعضه الى بعض وتوسع نطاق ملاحة جميع الدول على أن الانجليز لايحبون تقدم غيرهم فى شيء من ذلك البتة ويميلون الى أن يروا أنفسهم السابقين فى كل شيء . والرابحين لكل شيء . ولذا أصبح هذا البحث الدقيق الشغل الشاغل لكثير من أهل السياسة . وكان من أكبر الاسباب الباعثة على تأجيل الشروع فى هذا العمل الجليل ولو تأمل أصحاب هذا الرأى فيما جاء فى المعاهدات التى ابرمت بين دول

فرنسا وانجلترا والباب العالى فى هذا الشأن لتحقق ان الامر على
ير مايتوهمون وعلموا أن دولة انجلترا تملك أهم واعظم بوغازات
عالم بأسره مثل جبل طارق . ومالطا وجزائر الارخبيل وعدن
غير ذلك فى الهند وسنجابور واوستراليا فلا يعز بشىء من مصالحها
رجاع ذلك الاتصال . فاذا سمح مولاى بالاخذ باطراف هذا
لعمل لا يسع دولتى الفرنسيس والانجليز الا الاذعان والموافقة
لى حفر مستطيل لا يجاوز طوله ثلاثين فرسخا . ولعمر الحق من
نظر الى شكل هذا المستطيل على خريطه نظره التأمل ولا يهيم
شوقا الى رؤياه برزخا يجمع ما بين البحرين : اما مدخط حديدى
من مدينة الاسكندرية الى مدينة السويس كما تمنت ذلك الدولة
لانجليزية وسعت جهد الاستطاعة وراء الحصول عليه فهذا
لا يأتى بالفائده المطلوبة الا اذا كان المراد منه مساعدة الملاحه
فى الاتصال المذكور

وإذا نظرنا إلى دولة النمسا فلا نراها تبدى أعتراضاً على هذا
العمل اباحت حرية الملاحة فى نهر الدانوب والسويايانا فلا
سبيل لها الى غير الاذعان والقبول . . وكذلك دولة الجر
لا ترى فى هذا العمل سوى زيادة أهميه مينا تريستا والبندقيه
وجعلها من أهم مين العالم التجارية فتقم به السعادة والرفاهيه
اهل بلادها ويتسع عندها نطاق التجاريه والصناعه فلا تجديد
من معاونتنا وهى على أتم ما يكون من حسن الرضا والقبول .

وأن قيل أن دولة الروسيا لا ترضى عن العمل قلت ان هذا لا يكون لانها تور ظهوره وهى الآن فى غناعن أن تعارضنا الاسيا وجلالة قيصرها قد فاز بكل ماتاقت اليه نفسه فافسح لكل بلاد دخلت فى دائرة حكومته طرق التمدن والعمران فاذا تم عمل هذا الاتصال كان له نور على نور فينفذ قومه الى اقاصى الهند باصناف المتاجر والبضائع فتتفتح لهم ابواب الرزق وتسمد اموالهم وكذلك تزداد العلائق يوما عن يوم بين الولايات المتحدة الامريكية وبين الصين وتزداد مواصلات اسبانيا مع جزائر الفليبيين وهو لاندا مع جافا والصومال وبرنيو ودولة ايطاليا الشهيرة قديما مع اليونان . وبالاجمال يسر العالم بأسره سروراً عظيما يوم يصم خبر الشروع فى هذا العمل العظيم. وأنى أعد مولاى حرسه الله بأني سأبذل جهد المجتهد فى الحصول على معاونة جميع هذه الدول وأقوم خير قيام بوفاء وعدى والسلام

فاستحسن سعيد باشا هذا المشروع وأحله محل القبول . وابتدأت المخابرات مع الباب العالى فى أجازة أنجاز هذا المشروع وسعي سعيد ماسعي . واعمل دى لسبس كل جهده حتى تحصل على فرمان صدر فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ بخصوص ذلك

ومما جاء فيه أن يكون الخليج المزمع أنشاؤه ملكا للشركة مدة ٩٩ سنة تبتدىء من يوم فتحه للملاحة وأن يجور لها انشاء خليج آخر يصل بين النيل والخليج والمالح وأن تتنازل

لها الحكومة عن الاراضي الاميرية الغير صالحة للزراعة التي تمر الترعة الحلوة فيها بشرط أن تزرعها الشركة على مصاريفها. وأخيراً ان لا يعمل بهذا الفرمان ولا يبتدأ في العمل إلا بعد تصديق الباب العالى عليه

وفى ٢٠ يوليو سنة ١٨٥٦ تعهدت الحكومة للشركة باحضار من يلزم لها من العمال المصريين قهراً بالطريقة التي كانت متبعة في الاعمال العمومية وأن تدفع لهم الشركة الاجر من طرفها لمن عمره أقل من اثنى عشر سنه قرشاً صاغاً يومياً ومن زاد سنه عن ذلك تكون أجرته من قرشين ونصف الى ثلاثة قروش وذلك خلاف الجراية التي تعمل لكل واحد منهم وقيمتها قرش صاغ .

واشترط على الشركة انشاء اسبتاليات وترتيب أطباء لمعالجة المرضى على طرفها . ولولا هذه الشروط ما أمكن الشركة اتمام هذا المشروع . وعدم وجود شرط مثله كان سبباً فى عدم نجاح مشروع فتح برزخ بناما لان الشركة لم تجد عمالا بهذه الصفة يكونون موجودين دائماً فى العمل باجرة تافهة كهذه . ولما صدرت اسهم الشركة لم يقبل الجمهور على شرائها لمعارضة الجرائد الانجليزية لهذا المشروع فبقي فى أيديها مائة وسبعة وسبعون الف وستمائة واثنان وأربعون سهماً قيمة كل منها خمسمائة فرنك

أى ان ثمنها عبارة عن ثلاثة ملايين وخمسمائة وخمسين الف جنيه مصرى وزيادة فحسن المسيو دى لسبس للمرحوم سعيد باشا أن يشتريها للحكومة المصرية فاشتراها ولما طلب منه عشرى ثمنها عند الابتداء فى العمل اقترضه له . . . وربما كان هذا أول ديون مصر التى تربو الآن عن مائة مليون وستة ملايين من الجنيهات المصرية ولم ينتظر المسيو دى لسبس تصديق الدولة بل ابتدأ فى العمل

***

هذا ماتم فى عهد سعيد باشا من أمر قنال السويس الذى انتهت فيه كل المسائل الخاصة به . ولم يفتتح فى عهد محمد سعيد باشا

عدل الوالي للسودان

وقد قامت الحبشة فى عهده وشاعت الزحف على مصر . على انه بثاقب فكره تمكن من انتهاء الامر بعد ان فشلت كافة المساعي التى بذلتها انجلترا للايقاع بينه وبين نجاشي الحبشة وفى اثناء زحفه على بلاد الحبشة وشخوصه الى الخرطوم رأى حالة السودان وما هى عليه فاصدر مرسوما لاهله فى سنة ١٨٥٧ يقول فيه

ليس منكم من يجهل ما الاقيه من التعب فى احياء ما اندس من معالم المدنية والعمران وايراد كافة صنوف الرعية موارد العز والرفاهية وقطع شأفة الظلم والاستعباد ومع ذلك فانى لما قدمت

الى هذه الاصقاع شاهدت بعيني رأسي ما يلاقيه أهلها من الضنك والفاقة وسمعت بأذني صوت أنينهم من أحمال الضرائب التي أثقلت كاهل منهم فضل عن الفقير وفداحة الخراج المضروب على سقاياتهم وأطيانهم وتسخيرهم في كثير من الاعمال التي لا قدرة لهم على القيام بها والاتجار في أولادهم وبناتهم كالسلعة في الاسواق فكان ذلك مما أحزن قلبي وبلبل فكري لا سيما وقد علمت بأنهم أخذوا يهاجرون من أوطانهم الى أقاصي البلاد هربا من هـذه الكوارث والمحن المتراكم بعضهـا فوق بعض فلذلك وعقدت النية على جعل الخراج قدراً يناسب حالة البلاد وأهلها . وعلى أن أبذل جهد المجتهد في اصلاح أحوالهم وترتيب أمورهم على ما فيه الصالح لهم ولذريتهم من بعدهم فلما نزلت على بربر جمعت المشايخ وجميع من جاء للقائي من أهل البلاد على اختلاف مراتبهم وحالتهم أن يؤمروا عليهم أميراً يختارونه من بينهم ممن يستبشرون بأمارته ويتوسمون فيه الخير للبلاد وتحصل على يديه السكينة والخلود الى الطاعة وأن يقدروا مبلغ الخراج الذي يسهل عليهم القيام به بلا كلفة ولا مشقة ففرحوا بذلك وطلبوا أن يربط على كل شقايه خراجا قدره مائتان وخمسون قرشاً في كل سنة فلم يعجبه ذلك منهم لكثرته مع حاجة البلاد الى التخفيف فرسمت بأن لا يزيد خراج كل سقايه عن مائة وخمسون قرشا . وخراج كل فدان من أرض الجزائر خمسة وعشرون قرشا اما أراضي العلو فعشرون

قرشا فكان لهذا العمل أحسن وقع فى قلوب سائر الرعية وفرحوا فرحا لا يوصف . وأخلدوا الى السكون والطاعة وهنا بعضهم بعضاً . وأرسلوا يستقدمون من هاجر منهم وترك الاوطان .

ولما وصلت الخرطوم جاءني اولئك المشايخ والاعيان فحسنت لقاءهم واكرمت مثواهم وطيبت خاطرهم بما لم يسبق له مثيل علكم تقتدون بى رانى لم اقلدكم المناصب الا لتكونوا عوني على استتباب الامن واصلاح امور الرعية فاياكم والعسف والجور . ولا تجمعوا الخراج الا فى الاوقات المناسبة واعقدوا لتقرير قاعدة ذلك جميعه فى الثلاث شهور التى لازرع ولا قلع فيها . وقسموا الخراج على اقساط متساوية يسهل عليكم جبايتها الى آخر كل سنة . وكلفوا جماعة الاعيان بتقرير هذا العمل . وكل ماوقع عليه الاتفاق ارفعوه الى ثم احشوا جميع الكشاف والجند الموكلين بجباية الخراج . واخلعوهم . وقلدوا مكانهم مشايخ البلاد فهم أولى بذلك وعافوهم فى مقابلة ذلك الخدمة برفع سقاية فى كل خمس وعشرين سقاية ... هذا وحيث أن لاولئك المشايخ والاعيان بيوتا ينزل عليها كل طارق وقاصد فارفعوا عن كل منهم خراج أربعة افدنة فى كل مائة فدان . واذا ابتاعت الحكومة شيئاً من أهالى البلاد لزمها أن تنقدهم ثمنه حالا بزيادة اثنين فى المائة عما تشترى به الاهالى بعضها من البعض الآخر وأياكم والمخالفة فيكون جزاءكم شر الجزاء .

وحيث يوجد فى هذه البلاد من الاخشاب الصالحة للعمائر ومد السفن والحريق وغيره شيئا كثيراً فاشتروا من الاهالى كل ماتيسر وسيروا به الى القاهرة وانقدوهم الثمن معجلا وعلموهم الصنائع وانشاء المبانى المنظمة. والمساكن المشيدة وغرس الاشجار بالشوارع والطرقات واذا اعطيتم احداً ارضا للفلاحة المتروكة فاخبروا بذلك المديرية التى أنتم فى دائرة اختصاصها. واذا عاد من جاهر الى البلد. وطلب رد أطيانه وكانت ثابتة اليه وجب ردها اذا لم يمض على انسحابه خمس عشرة سنة. وارفعوا عن الاهالى جميع المتأخرات لغاية سنة احدى وسبعين ومائتين والف هجرية واعتبروا أن كل مساحة فدان اربعمائة قصبة وأن كل قصبة ثلاثة أمتار فقط وأياكم والمخالفة فيكون جزاءكم شر الجزاء

فلما ذاع خبر هذا المنشور بين اهل السودان فرحوا به فرحا عظيما. وعاد منهم من هاجر ورحل عن الاوطان بسبب تلك المغارم والمظالم المتراكم بعضها فوق بعض وجاءت وفودهم الى مقر سعيد باشا يقبلون اعتابه ويدعون له بخير ويعلمونه بانهم قد أصبحوا على قدم الطاعة والخلود الى الدعاء بدوام ملكه وتأييد عرشه فأكرم لقاءهم وأحسن وفادتهم ووعدهم بانجاز كل مايتمنونه من الخير لبلادهم

وكان ميالا جداً الى مد الخطوط التلغرافية والحديدية من

القاهرة الى قلب السودان فلم تمكنه الايام ولكنه رسم بتسيير عدة من سفن البحار فى النيل بين الصعيدين فكان من أكبر أسباب العمران وادعى الى رحيل الكثير من الأجانب الى تلك الاطراف . وكان سريع الخاطر . قريب الغضب . سريع الرضا يرضى بالقليل من كل شيء ولا يتطلع الى مافى أيدى الرعية ولا يظلم أحداً قط وكان إذا علم بظلامه أحد هاج وعاقب مرتكب هذه الظلامة لاسيما منهم أرباب الدولة والحكام . وكان بعيد التعصب لاحد الاديان لايفرق بينهم : ولا يفضل بعضهم على بعض فاحبته الرعية ومالت اليه جميع القلوب . وكان لايملك داراً لنفسه فان جميع ما ابتناه جعله ملكا للخزينة وسار فى عشر رجب من القاهرة يريد الحجاز فوصل مدينة السويس فى رابع عشرة وركب من يومه الباخرة المسماة نجد . وزار الحرمين وتصدق فى مكة والمدينة واطعم وفرق أموالا كثيرة . وقام من المدينه فى سادس شعبان فوصل ينبع فى ثالث عشرة وسار منها الى مدينة السويس فوصلها فى سابع عشرة الشهر المذكور ففرح الناس بقدومه ودقت البشائر وزينوا له مصر والقاهرة ثلاث ليال فكانت كلها افراحاً

وكان بينه وبين نابليون امبراطور الفرنسيس محبة كبيرة وكانا على كل وفاق فى كثير من الامور فابغضه لذلك كبار ساسة الانجليز وعملوا على نكايته وتذليله

وفى أيامه ثارت مديرة الفيوم على الحكومة فبعث اليها واخمد الثورة . ولما اختتن نجله طوسن بك أطلق كل من كان فى السجون من المجرمين حتى القاتلين .

وفى سنة ١٨٥٩ ميلاديه توجه لزيارة سوريا فمكث فى بيروت مدة ثلاثة أيام ونزل ضيفا كريما على وجهاء المدينة . وكان اثناء مروره فى الطرقات . ينثر الذهب على الناس

وفى يوم السبت ١٧ يناير (كانون الثاني) سنة ١٨٦٣ ميلاديه توفى سعيد باشا

كان فى الوقت الذى مات فيه محمد سعيد باشا والى مصر . كان اسماعيل باشا يقطن فى قصره بمنيل الروضة — وعند سماعه خبر موت عمه استولى عليه السرور وارتسمت على محياه أمارات الغبطة والحبور . وأصدر أمره فى الحال . بابقاء جثة عمه بالاسكندرية لدفنها فى مسجد النبى دانيال (١) حتى لا تختلط فى البلاد ملائم الحزن بمخائل السرور ولا تمتزج دموع مأتم بدموع فرح . ولا يقع كبار الموظفين فى حيرة . نعم اذا يمشطوا أمير وآخر يغسلونه

وبينما كانت المواكب تزجى . والموسيقات تعزف . والخيول تصهل والسيوف تلمع . والرماح تتلألأ ق . والمدافع تقصف من

---

(١) ونقل بعد ذلك الى مسجد العائلة بالامام الشافعى

القلعة كالرعد يدوى فى الفضاء. والعربات المموهة بالذهب والفضة تجرها الجياد المطهمة تحمل الامير الجديد. وبطانته وحاشيته وكبار أهل الحل والعقد. بين القصر والقلعة يروحون ويجيئون كان فى ذاك الوقت وفى تلك الساعة جثمان سعيد باشا يسير فى شوارع الاسكندريه فوق الآلة الحدباء لا يحتاط غير عبيده وخدمه. ولا يوجد من الاجانب خلاف رجل واحد فرنسى وهو صديقه الحميم المسيو برافيه. ومن شدة سرور الامير الجديد اسماعيل باشا زوج ابنته زينب هانم. وجميله هانم بابناء عمهما الاميرين ابراهيم وأحمد. وعقد لابنه حسين (السلطان حسين كامل فيما بعد) على أختهما عين الحياة هانم. ولكن الله أراد غير ما يريد البشر فماتت زينب هانم وطلقت جميله هانم. وأتت عين الحياة هانم على نصيبها فى ميراث أبيها اسرافا وتبديداً

ترك سعيد باشا مملكة هادئة عامرة بالناس والمال. بعد أن اعاد اليها ماكان قد ابطله سلفه عباس الاول من نظم أبيه محمد على باشا الكبير. ووصد فيها دعائم الامن. ووسائل الرخاء وسدد شطراً كبيراً من الديون التى كان قد اضطر الى اقترضها لما قام به من المشروعات العظيمة التى منها ـ مد خط السكة الحديدية من مصر الى الاسكندرية. ومن طنطا الى دسوق ولم يكن باقيا من تلك الديون العامة عند ولايه اسماعيل باشا الا مليوناً واحداً من الجنيهات المصرية او ينقص قليلا. ولكنه

ترك بابين كبيرين مفتوحين على مصراعيها كان من شأنها أن يوجها للنفع واستدرار الخيرات من أرض مصر . فيدفعان بجميع خيرات مصر العظيمة الى الخسارة والبوار . هما السودان ومشروع قنال السويس

(العناية الالهية خدمت اسماعيل باشا)

أن العناية الالهية هى التى خدمت الخديوى اسماعيل باشا العظيم ليتولى عرش مصر لانه لولا العناية ماكان له الحق فى الاستيلاء على عرش مصر ـ نعم ـ ان أخاه الامير احمد باشا ابراهيم كان هو أكبر منه سنا ولكن حدث حادث لم يكن فى الحسبان . قبل موت سعيد باشا . كان فى مدة حكمه يقيم فى الاسكندرية . والعادة المتبعة فى الاعياد الرسمية يتوجه الامراء لتهنئة الحاكم الجالس على العرش . ففى عيد الاضحي سنة ١٢٧٩ هجرية الموافق سنة ١٨٦٣ ميلادية . ذهب الامراء الثلاثة . الامير عبدالحليم بن محمد على باشا وهو أخ حاكم مصر والامير احمد ابن ابراهيم باشا واخوته الاميران اسماعيل باشا . ومصطفى فاضل باشا . سافروا بمن بمعيتهم من المماليك الى الاسكندرية . فوصلوها فى يوم الوقفة بعد غروب الشمس . وكانت العادة المتبعة عند أبناء مصر أن مدينة الاسكندرية خير المدن للنزهة

وما وصلوا اليها الا وتفرق الامراء ونزل الامير احمدابن ابراهيم باشا فى داره بالاسكندرية . ونام تلك الليلة . وما انتصف الليل الا ونهض من سريره مفزوعاً فتقدم اليه احب مماليكه فراه فزعاً والدمع تترفرف من عينيه على خديه فقال له أصلح الله حال مولاى ماباله يبكى : وقد كنا بالامس على أحسن حال. وانعم بال يرفرف علينا الهنا باجنحة السرور

فقال الامير . رأيت رؤيا . كأني وأياك على شرفة هذا القصر نريد الهرب من وجه سعيد باشا . وقد أرسل الينا من يطلبنا من عبيده السود . فلما ابصروا بنا هجموا على هجمة الاسود واخذوا بيدى ورجلى . وقذفونى في النيل . ففزعت من هذا الحلم المرعب وجعلت استعيذ بالله حتى غلبنى النوم فنمت . فأتانى هاتف يقول هل أوصيت بالعيال . ؟

فقال الهاتف . لقد اتتك المنية فلا مفر منها اليوم

فقمت فزعاً مرعوباً واستعذت بالله ولبثت مفكراً مطرقا ساعة من الزمن حتى غلبنى النوم فنمت . فاذا بفقير على كتفه شبكة صياد قددنا منى وقال . قم يا احمد !

فقلت . ومن أنت يرحمك الله

فقال . أنا رسول ملك الموت .

فقمت باكيا من ساعتى . ولم أجد أحداً حتى دخلت على

فقال المملوك وهو (شارو بيم بك) يا مولاى هذه أضغاث

أحلام . وقد أتعبك السفر أمس . فلا تظن الظنون وانهض فقد آن ميعاد التشريفة

فنهض الامير . ولبس بذلة تشريفته وركب معه مملوكه الامين . .

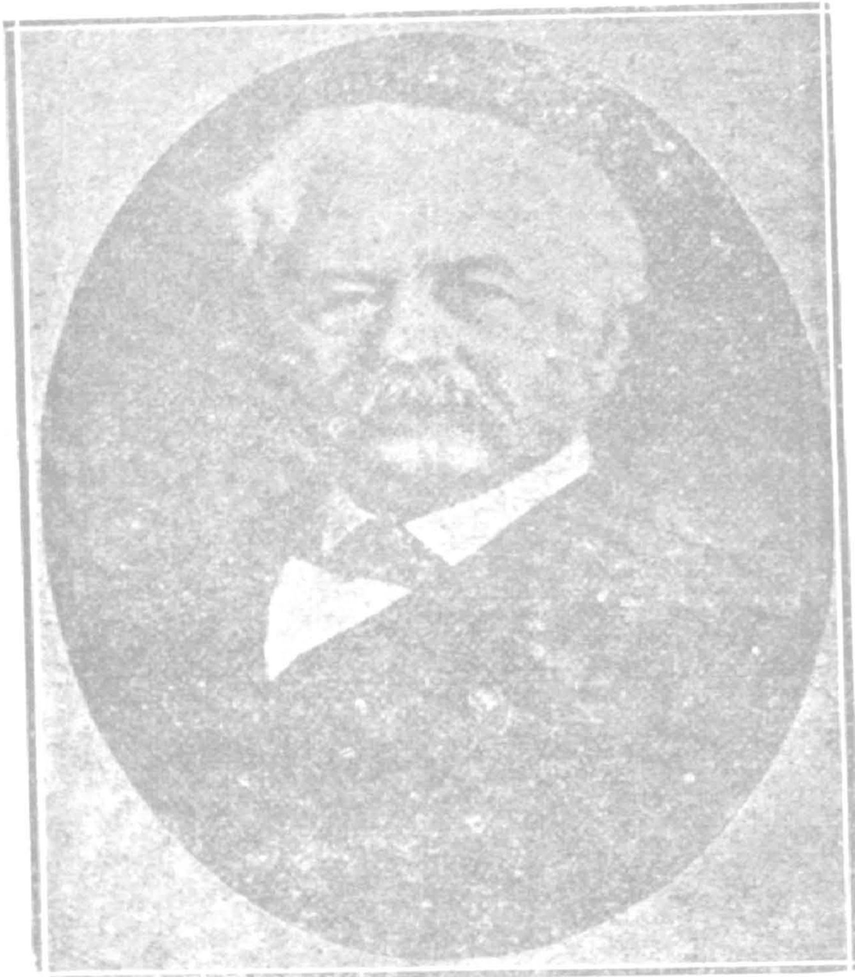
فجعل لا يمر بفوج من أفواج الجند المصفوفة على طول الطريق حتى يبكى . . ولما انقضت ساعة التشريفة قال . لا بد من السفر الساعة . فجادله الامراء بعدم السفر لاجل المبيت فى المدينة الليلة . فكان جوابه لهم . بل لا بد من السفر عسى الله أن يفرج كربي . وعلى ذلك لما وجد الامراء منه هذا التصميم سافر جميع الامراء من ذرية محمد على باشا . وفى هذه اللحظة قال أحد حجاب سعيد باشا وهمس فى اذن الامير اسماعيل . فالتفت الامير اسماعيل وقال لاحد مماليكه . انزلوا أمتعتى فقد عدلت عن السفر .

فقال له أخوه الامير مصطفى فاضل . ان كان ولا بد من بقائك اليوم فانى سأبقى معك ونزلا معاً . وسافر الامراء جميعاً فى القطار حتى وصلوا الى كفر العيس . لان كوبرى كفر الزيات كان لم يتم بناءه الحديدى ليصل بين الشاطئين . فكان القطار يصل الى الشاطىء . فيستقبله صندل عليه شريطان من قضبان الحديد موازيان للخط الحديدى على الشاطىء فيلتحم فى ثباته وارتفاعه بالشاطىء رسماً يحكم العمال تقييد القطار عربتان عربتان . ويوصل كل عربتان على حدتهما الى الشاطىء الثانى حتى يتم نقل القطار

جسمه . فنزل الامراء فى مركبة منها وكان فيها الامير أحمد . والامير عبد الحليم . وجماعة من البشاوات . وسهى على العامل أن يقيد المركبة . ولما وصل الصندل الى وسط النيل التطمت المركبة بالثانية فتدافعت وسقطت فى النيل وغرقت . وكان الامير أحمد شاباً جميل قوى العضل بطيئا فلم يتهيأ له الخروج من المركبة ولا النجاة من الغرق . اما الامير عبد الحليم فقد رمى بنفسه من النافذة وعاونه الناس حتى خلصوه من الغرق . اما الامير أحمد . فقد كان تقياً كثير الاعتقاد بالله عزوجل ومن هذا كان الله عزوجل حارسه . ولما وافته منيته رأى هذه الرؤيا . وغير ذلك أتاه الهاتف يذكر له الموت فلولا موت الامير احمد مكان وصل الملك للامير اسماعيل



(المغفور له الخديوى اسماعيل باشا الذى نال أول لقب خديوى مصر)



(المسيو فردينان دلسبس الذى افتتح قنال السويس)



المغفور له الخديوى محمد توفيق باشا
الذى حصلت فى عهده الثورة العرابيه

حديث الناس عن الفاجعة

وكانت الامة على بكرة أبيها تتهم سعيد باشا بأنه هو الذى دبر هذه الفاجعة لأنه كما يقولون كان يكره الامير أحمد . ولكن لم يثبت قطعياً ان سعيد باشا كان يبغض الامير أحمد . واذا كان يبغضه فليس لدينا مستند يؤيد اتهامه . . نعم ان القطار كان فيه الامير عبد الحليم وهو شقيق سعيد باشا . وكان يحبه حباً جماً وكان عنده عزيزاً جداً فمن هنا حكم عاطفة الاخاء يأبى التسليم لمتهمي سعيد باشا بأنه قتل أحمد وأراد قتل عبد الحليم لينقل الملك ليد اسماعيل باشا وفى ذاك الوقت كانت الاسرة العلوية فى حالة حزن على هذه الفاجعة لأن القطار الغارق كان فيه أربعة من أمراء البيت المالك غير أقرب المخلصين اليه من العظماء أمثال أدهم باشا الذى غرق أيضا . . . نعم ان الذى أمر بالعودة هو الامير أحمد نفسه تحت تأثير حلمه فليس لسعيد باشا أى اختيار فى رجوع أحمد وأعضاء البيت المالك . والادلة التى بيدى هى أن تعجل الامير أحمد فى الرجوع سبب اهمال نقل القطار اضطراب فلم يحسنوا ربط العجلات اذا أراد سعيد باشا التخلص من الامير أحمد كان امامه طرق شتى فى القتل اذ كان هو الحاكم وكان فى ذاك الحين القتل الشائع فى قصور الملوك الشرقيين

بطريق شتى يقتل الفرد دون أن يعلم بموته أحد فلا يقتل الرجل أخاه بغير ذنب ويقتل معه صفوة العظماء الابرياء ليتخلص من رجل لا يزاحمه فى الملك بل يزاحم غيره . . . فكانت العناية الالهية التى خدمت اسماعيل على ان يجعل مصر قطعة من أوربا على يديه ويقربها من المدينة الغربية فهيأ الاسباب التى جعلت الامير اسماعيل يترك القطار ويعود الى الاسكندرية وبالصدف الغريبة مات فى هذا العام سعيد باشا

(اسماعيل باشا خديوي مصر الاول)

(من سنة ١٢٧٩ ـ ١٢٩٦ ﻫ الموافق لسنة ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩ م)

هو ثانى أنجال المرحوم ابراهيم باشا ابن محمد على باشا ولد سنة ١٨٣٠ ميلاديه وتربى أحسن تربية وتغذى بالعلم والمعرفة فأتقن فن الهندسة وبرع على الخصوص فى التخطيط والرسم ثم جال فى اوربا واختبر احوالها وعوائدها وفى يوم ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ميلاديه تولى زمام الحكم فى الديار المصرية بعد وفاة عمه سعيد باشا كثير الميل الى تحسين المدن الى مايقربها من زى مدن اوربا فشرع فى ذلك وكان شديد الرغبة فيه الى مايفوق حد التصور فتسهلت سبل التجارة . فى أيامه وتقاطر الى الديار

المصرية الاجانب من كل جانب . وفى سنة ١٨٦٦ ميلادية ناله من لدن الباب العالى خطا شريفا مؤذنا بالارث الصريح فى عائلته فكان هو أول من تحصل على لقب خديوى

الفرمان الشامل لجميع امتيازات

الخديوية المصرية الصادر للخديوي اسماعيل باشا

فى ٨ يونيه سنة ١٨٧٣

من المعلوم لديكم أنكم أستدعيتم منا جميع الخطوط الهايونية والاوامر الشريفة السلطانية التى صدرت من منذ توجيه الخديوية الجليلة بطريق التوارث الى عهدة والى مصر الاسبق محمد على باشا المرحوم إلى يومنا هذا سواء كانت بخصوص تعديل اعطاء بعض امتيازات حسبما استوجبها موقع الخديوية . وأمزجة الاهالى وطبائعها الخصوصية وجعلها فرمانا واحداً مع التعديلات اللازمة فى أحكامها والتفصيلات المقتضبة في عباراتها بشرط أن يكون هذا الفرمان الجديد قائم مقام الفرمانات السابقة وان تكون الاحكام المندرجة فيها معمولا بها ومرعية الاجراء على الدوام والاستمرار فقد قورن استدعاؤكم هذا بمساعدتنا الجليلة الملوكية وها نحن نذكر ونبين لكم أحكامها على الوجه الآتي

لما تحقق لدينا ان تعديل أصول توارث الخديوية المصرية التى

صار تعيينها بالفرمان العالى الصادر فى اليوم الثاني من شهر ربيع الاول من شهور سنة ١٢٥٧ الموضح أعلاه بالخط الهمايوني وتبديلها بأصول حصر الوراثة الخديوية فى أكبر أولاد خديوى مصر بطريق سلسلة النسب المستقيم بأن يصير تخصيص مسند الخديوية الجليل وتوجيهه الى أكبر أولاد الخديوى المذكور وبعده الى أكبر أولاد هذا الاكبر الذكور وهكذا على النسب المستقيم الذكور على الدوام يكون مستلزما لحسن ادارة الخديوية المصرية وجالبا لاستكمال سعادة أموال اهاليها وسكانها هذا مع ماحصل لدينا من استحسان مساعيكم الجميلة المعروفة في استحصال معمورية الاقطار المصرية المهمة الجسيمة ورفاهية أهاليها وحصول وثوقنا بكم واعتمادنا الكامل عليكم فلاجل أن يكون دليلا باهراً على ذلك قد أجرينا تعديل توارث الخديوية المصرية وتعيين وصايتها على الطريق الآتى بيانها وهى

ان خديوية مصر الجليلة وملحقاتها وجهاتها المعلومة الجارية ادارتها بمعرفتها مع ماصار الحاقها بها أخيراً من قائمقاميتى سواكن ومصوع وملحقاتها يصير توجيهها بعدكم على الطريق المار ذكرها الى أكبر أولادكم الذكور وبعده الى أكبر اولاد من يكون خديويا على الاقطار المصرية من أولادكم . واذا انحلت الخديوية المصرية بان لا يكون للخديوى ولد ذكر يصير توجهها الى أكبر أولاد اخوته الذكور . واذا لم يوجد له أخ بقيد الحياة فالى أكبر

لأولاد الاخ الاكبر وهكذا اتتخذ هذه الاصول قانونا مستمراً وقاعدة مرعية أبدية فى توارث الخديوية المصرية ولا يصير انتقال الوارثة الخديوية الى الاولاد الذكور المتولدة من أولادكم الاناث أصلا

ولاجل تأمين أصول توارث الخديويةسنذكرصورةتشكيل الوصاية المقتضية فى ادارة أمور الخديوية وكان الوارث هو أكبر أولادكم الذكور . صغيراً وصبياً . وهى أن الخديوية المصرية اذا انحلت وكانت أكبر أولادكم الذكور أعنى الوارث صغيراً وصبيا أن يكون عمره أقل من ثمانية عشر سنة ولو أنه يصير خديويا بالفعل حسب استحقاق الوارثة فى الحال يصدر فرمان من طرف السلطنة السنية بتوليته على الخديوية لكن اذا كان الخديو السالف عين ونصب وصياً ورتب هيئةوصايةلاجل ادارة أمور الخديوية لحين بلوغ الخديوى اللاحق الصبي الى سن الثمانية عشر سنة وكتب سند وصاية بذلك وختم عليه هو. وختم اثنان من الامراء المصرية المأمورين أحدى المأموريات المصرية على طريق الاشهاد . واجراء الوصاية هكذافالوصى مع هيئة الوصاية المذكورة يأخذ بذمام الادارة فى الحال وبعدذلك تعرض الكيفية الى الباب العالى ويصير التصديق على ذلك الوصى وهيئة الوصاية من طرف الدولة العلية بفرمان عالى ويبقى الوصى وهيئة الوصاية

على ماهم عليه لحين البلوغ . وأما إذا انحات الخديوية ولم يعين الخديوى السالف وصيا ولم يرتب هيئة الوصاية على الوجه المذكور تتشكل هيئة الوصاية من الذوات المأمورين على الداخلية والجهادية والمالية والخارجية ومجلس الاحكام المصرية وسردارية العساكر المصرية وتفتيش الاقاليم ويصير أنتخاب وصى فى الحال من هؤلاء المأمورين على الوجه الآتي ذكره وهو ... أنه فى تلك الساعة تصير المذاكرة والمداولة مابين هؤلاء الذوات فى حق أنتخاب وصى منهم فاذا حصل اتفاقهم أو أتفاق أكثرية آرائهم على تسمية وجعل ذات منهم وصيا يتعين ذلك الذات وصيا على الخديوية . واذا اختلفت الآراء بان رغب نصفهم فى تعيين ذات والنصف الآخر فى تعيين ذات آخر يكون أجراء وصاية الذات المأمور على المأمورية المهمة والمقدمة فى الذكر من تلك المأموريات أعنى المأمور على المأمورية المقدم ذكرها علي الترتيب المحرر آنفا من الداخلية الى آخر وتتشكل هيئة الوصاية من الذوات الباقية بعده ويباشر إدارة الامور الخديوية مع الوصى وتعرض على الكيفية بمضبطة من طرفهم الى طرف سلطتنا السنيه ويصير التصديق عليها بالفرمان الشريف . وكما أنه لايجوز تبديل الوصى وتغيير هيئة الوصاية قبل ختام مدتها فى الصرة الاولى أعنى اذا كان تغيير الوصى وترتيب الوصاية وتركيب أعضائها بمعرفة الخديوى السابق فكذلك فى الصورة الثانية أعنى فيما إذا

كان انتخاب الوصى بمعرفة المأمورين المذكورين لايجوز تبديل الوصى ولا تغيير هيئة الوصاية ولا أعضائها فى تلك المدة. وإذا توفى أحد من أعضاء هيئة الوصاية فى ظرف تلك المدة يصير انتخاب واحد من المأمورين المصرية بمعرفة الباقين وتعيينه بدل المتوفى وإذا توفى الوصي في تلك المدة يصير أنتخاب واحد من أعضاء هيئة الوصاية بمعرفتهم على الوجه السابق وجعله وصيا وانتخاب واحد من المأمورين المصريين والحاقه باعضاء هيئة الوصاية بدل الذى نصب وصيا ... وبمجرد بلوغ الخديو الصبي إلى سن الثمانية عشر سنة صار شديداً وفاعلا مختاراً فيباشر هو بنفسه ادارة أمور الخديوية المصرية مثل سلفه وهذا حسبما تقرر لدينا واقتضته به ارادتنا الملوكية

ولما كان تزايد عمارية الخديوية المصرية وسعادة حالها وتأمين رفاهية الاهالى والسكان ورامتها من أهم المواد الملتزمة المرغوبة لدينـا وإدارة المملكه الملكية والمالية ومنافعها المادية وغيرها المتوقف اعليها تأسيس واستكمال وسائل الرفاهية وأسبابها عائدة على الحكومة المصرية فنذكر بيان كيفية تعديل الامتيازات وتوضيحها بشرط بقاء كافة الامتيازات المعطاة قديما وحديثا من طرف الدولة العلية إلى الحكومة المصرية واستمرار جريانها خلفاً عن سلف . وتلك الكيفية هى انه لما كانت ادارة المملكة بكل الصور والحالات سواء كانت

دارتها الملكية أو المالية أو كافة منافعها المادية وغيرها هى من المواد الفائدة على الحكومة المصرية والمتعلقة بها ومن المعلوم ان أمر ادارة أى مملكة كانت وحسن انتظامها وتزايدمعموريتها وثروة أهاليها وسكانها لا يتيسر الا بتوفيق معاملاتها وتطبيق اجرآتها العمومية بالاحوال والموقع وأمزجة الاهالى وطبائعها فقد أعطينا لكم الرخصة الكاملة فى أعمال قوانين و نظامات داخلية على حسب لزوم المملكة وكذا لاجل تسهيل تمشية وتسوية كافة المعاملات سواء كانت من طرف الحكومة أو من طرف الاهالى مع الاجانب وترقى وتوسع الصنائع والحرف . وأمور التجارة . وأمور الضبطية مع الاجانب قد أعطينا لكم الرخصة الكاملة فى عهد وتجديد المقاولات (المعاهدات) مع مأمورى الدول الاجنبية فى حق الكمرك وأمور التجارة . وكافة المعاملات الجارية مع الاجانب فى أمور المملكة الداخلية وغيرها بصورة لا تستلزم اخلال معاهدات الدولة العلية البولتيقية (السياسية) وكذا لكون خديوى مصر حائز التصرفات الكاملة فى الامور المالية قد صار اعطاء المأذونية التامة له فى عقد استقراض من الخارج بلا استئذان من الدولة العلية فى أى وقت يرى فيه لزوم للاستقراض . بشرط أن يكون باسم الحكومة المصرية . وكذا لكون أمر محافظة وصيانة المملكة الذى هو الامر المهم والمعتنى به زيادة عن كل شىء من أقدم الوظائف المختصة بخديوى مصر .

فقد أعطيت له الرخصة الكاملة فى تدارك أسباب المحافظة وتأسيسها . وتنظيمها بنسبة الجاآت الزمن . والموقع وكذا فى تكثير أو تقليل مقدار العساكر المصرية الشهانية بلا تحديد على حسب الايجاب واللزوم . وكذا أبقينا لخديوى مصر الامتياز القديم فى حق اعطاء رتبةأمير آلاى من الرتب العسكرية. واعطاء رتبة ثانية من الرتب الديوانية بشرط ان المسكوكات الجارى ضربها بمصر تكون باسمنا الملوكى. وأن تكون أعلام. وصناجق العساكر البرية والبحرية الموجودة فى الخطة المصرية كأعلام وصناجق سائر عساكرنا الشهانية بلا فرق وبشرط عدم انشاء سفن زرخ أى مدرعة بالحديد فقط بدون استئذان لاغيرها من السفن الحربية فانها جائز انشاؤها بلا استئذان ولاجل اعلان المواد المشروحة أعلاه . وتأييدها أصدرنا لكم أمرنا هذا الجليل القدر من ديواننا الهمايونى بمقتضى ارادتنا الملوكية وصار توضيح أعلاه بخطنا الهمايوني واعطاؤه لكم متمما ومكملا ومعدلا ومصرحا للخطوط الهمايونية والاوامر الشريفة الصادرة لهذا التاريخ سواء كان فى تأسيس وترتيب وراثة الحكومة المصريه أو فى تشكيل هيئة الوصايه أو فى ادارة الامور الملكيه والعسكريه والماليه . والمنافع الماديه والمواد السائرة بشرط أن تكون الاحكام المندرجة بهذا الفرمان الجديدة نافذة وباقية ومرعية الاجراء على ممر الزمان وقائمة مقام أحكام الفرمانات السالفة على ما اقتضته

ارادتنا الملوكية فيلزم أن تعلموا قدر لطف عنايتنا الملوكية. وأداء شكرها . بصرف جل همكم فى حسن ادارة أمور الخطة المصرية واستكمال أسباب وقاية أمنية الاهالى المنوطة بها . واستحصال راحتهم على حسب ما جبلتم عليه من الشيم المرغوبة والغيرة والاستقامة . وما اكتسبتموه من الوقوف والمعلومات فى أحوال تلك الحوالى والاقطار وان تراعوا اجراء الشروط المقررة فى هذا الفرمان الجديد وأداء المائة وخمسين الف كيساً التى هى ويركو مصر المقطوع سنويا باوقاتها واوزمانها الى خزينتنا الجليلة الشاهانية على الترتيب والقاعدة المرعية فى ذلك

تحريراً فى سنة ١٢٩٠ هجريه

وفى السنة التالية نال من انعام جلالة السلطان لقب خديوى وهو أول من نال هـذا اللقب الذى هو أرفـع رتب وزراء الدولة . .

وفي يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٦ ميلادية كان الاحتفال بافتتاح قنال السويس بعد كثير من المداولات التى دارت بخصوص هذا القنال مع الدولة العلية . وذلك ان الدولة العلية لاحظت ان الامر جرى على خـلاف الفرمان المعطي للشركة من سعيد باشا فأرسلت ملاحظاتها بذلك .

فأجابها ان هذه أعمال ابتدائية ضرورية لتخطيط المشروع ولا تعتبرا بدأ فى العمل وأخيراً بعد ان دارت المخـابرات عـدة

سنوات بين الشركة والباب العالى والحكومـه الفرنساويه التى تداخلت لحماية هذا المشروع الفرنساوى آرسل الباب العالى الى المسيو دى لسبس بلاغاً فى ٢ ابريل سنة ١٨٦٣ فحواه ان الدولة ترى ان امتلاك الشركة للاراضى الواقعة على ضفتى الترعة الحلوة وزراعتها بمعرفتها مما يضر بحقوق السلطنة فى مصر اذ تجعل لدولة أجنبية حقوقا فى مصر خصوصا اذا أنشئت بها مستعمرات زراعية يؤتى لها بالزراع من الخارج ولذلك لا تصدق على هذا المشروع الا اذا ضمنت جميع الدول حرية القنال المراد انشاؤه كما ضمنت بوغازى الاستانة وأن تترك الشركة حقوقها فى الترعة العذبة وما على ضفافها من الاراضى . وان لا يستعمل المصريون قهراً فى أشغال الشركة اذ كان يشتغل بها فى هذه الاثناء نحو ستين الف مصرى بطريق السخرة. وأمهلت الدولة الشركة ستة أشهر لاعطاء الجواب والا يسقط حقها فى جميع الاراضى الممنوحة لها

ولما انقضى هذا الاجـل ولم تجب الشركة بشىء أعلنتها الحـكومة المصرية بسقوط حقهـا فى ١٢ اكتوبر سنة ١٨٦٣ ميلاديه . . فأوعد المسيو دى لسبس . وأبرق وتداخلت فرنسا وكاد الامر يقضى الى ارتبـاكات سياسية . فقبلت الحـكومة المصريه بحكم نابليون الثالث امبراطور فرنسا ظنا منها انه ينصفها ضد الشركة . وغاب عنها انه لا بد ان يميل الى الشركة بعاملى الجنسية والسياسية ولو لم يكن الحق من جانبهـا . وحقيقة انه

اتخذ هذه الفرصة وسيلة للحكم للشركة بمبالغ وافرة كانت سبباً في اتمام المشروع فاصدر حكمه في يوم ٦ يونيه سنة ١٨٦٤ بعد ان استشار لجنة من أهل الدراية بالاحكام القانونيه حضرها نوبار باشا بصفته مندوب عن خديوى مصر . ولا حاجة بنا ان نأتى هنا بالحكم وأسبابه . بل نكتفى أن نلخصه فيما يأتى

أولا ـ أن تدفع الحكومه للشركه مبلغ ثمانية وثلاثين مليون فرنكا فى مقابل ابطال الشرط القاضى عليها باحضار العمال . .

ثانياً ـ ثلاثين مليون فرنك نظير ترك الاراضى التى رخص للشركه باحيائها وزراعتها

ثالثا ـ ستة عشر مليون فرنك فى مقابلة تخلى الشركة عن الترعه الحلوة وفوائدها وتلتزم الحكومه المصريه زيادة على ذلك بحفرها من القاهرة الى الوادى وبجعلها صالحة للملاحة فى جميع أوقات السنة وعلى الشركه تطهيرها سنويا بمعرفتها فى مقابل ثلثمائة الف فرنك تأخذها من الحكومه ويكون للشركه الحق فى أخذ سبعين الف متر مكعب من المياه فى كل ٢٤ أربع وعشرين ساعه فيكون مجموع هذه المبالغ أربعة وثمانين مليون فرنك عبارة عن ثلاثة ملايين جنيه وأربعمائة وثلاثة وستين الف جنيه تدفع على جملة أقساط بالكيفية الآتية .

من ابتداء سنة ١٨٦٤ لغاية سنة ١٨٦٧ . ميلاديه تدفع مبلغ

ستة ملايين ونصف من الفرنكات سنويا . وفى كل من سنتى ١٨٦٨ و ١٨٦٩ مائتان وأربعون الف جنيه ومن سنة ١٨٧٠ لغاية سنة ١٨٧٩ ميلاديه ثلاثة ملايين وستمائة الف فرنك سنويا عبارة عن مائتين وأربعين الف جنيه سنويا

ولما تم الحكم على هذا الوجه الظاهر اجحافه بحقوق مصر حررت الشروط النهائيه بين الحضرة الفخيمه الخديويه والمسيو دى لسبس رئيس الشركه والنائب عنها فى يوم ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ ميلاديه . وتقدمت للباب العالى فصدر عليها الفرمان السلطانى مؤرخاً فى يوم ١٩ مارس سنة ١٨٦٦ ميلاديه الموافق ٢ ذى القعدة سنة ١٢٨٢ هجريه

وبعد ذلك عدلت مواعيد الدفع بكيفية أرجح للشركه وزيادة على ذلك جميعه تنازلت الشركه للحكومه عن أرض الوادى التى قدر مساحتها ثلاثه وعشرون الفا وسبعمائة وثمانون فدانا فى مقابل عشرة ملايين من الفرنكات . وكانت قد اشترتها الشركه قبلا من الحكومه بمبلغ مليون واحد وسبعمائة وسبعين الف فرنك تقريبا فيكون ربح هذه الشركه فى هذه المسألة فقط نحواً من ثمانية ملايين من الجنيهات وهنا يمكننا أن نقول بانه لولا نقود مصر وفلاح مصر الذى ما زال يجبر على الاشغال قهراً وبأجر زهيد لا يذكر رغماً عن الشروط السالفة الذكر لما أمكن دى لسبس من أن يتم هذا المشروع الذى كان سببا فيما نحن فيه الآن من

الاحتلال الاجنبي وما سنراه نحن وأولادنا ان لم تساعدنا المقادير والاغرب مما ذكر انه لما تم فتح القنال . أرادت الحكومه الاستيلاء على كمرك بورسعيد كما تسمح لها المعاهدات الابتدائيه فامتنعت الشركه وتداخلت حكومة فرنسا . وقبلت الحكومه المصريه أن تدفع لها ثلاثين مليون فرنكا لمنع هذه المعارضه العاريه عن الاساس . وبذلك يكون ما دفع من الحكومه المصريه بسبب عدم تبصر رجالها مائة واثنين وعشرين مليون فرنكا. منها أربعة وثمانون قيمة ما حكم به نابليون للشركه . وثمانيه قيمة ربحها من أراضى الوادى وثلاثون فى مقابل تنازلها عن المعارضه فى كمرك بورسعيد

ولما توفر المال لدى الشركه أخذت فى بذل الهمه فى انجاز القنال . وفى شهر مارس سنة ١٨٦٩ ميلاديه توجه الخديوى اسماعيل باشا الى أوروبا لدعوة ملوكها لحضور الاحتفال الذى صمم جنابه على اجرائه اظهاراً لسروره من اتمام هذا العمل المضر بمصر ماليا وسياسيا وما دعاهم إلا ليستميلهم لاغراضه السياسيه

وبلغ ماصرف فى هذا الاحتفال نحو مليون ونصف من الجنيهات الانجليزية أى نحو سدس ايراد مصر سنة كاملة

ومما يوجب الاستغراب أكثر مما مر أنه لم يكتف بما صرفه عند الاحتفال بهذا الخليج بل باع الاسهم التى اشتراها سعيد باشا إلى انجلتره باربعة ملايين جنية مع أنها تساوى الآن ثمانية

عشر مليونا من الجنيهات

وحيث أنه كان رهن أرباحها مدة طويلة تنتهي فى يوليو سنة ١٨٩٤ فتعهد للحكومة الانجليزية بان يدفع لها سنويافائدة عن هذه الاسهم تبلغ قيمتها سنويا نحو مائتى الف جنيه حتى حلول أجل الرهن

مصر فى عهد اسماعيل باشا

فلما ان انفضت المشاكل واستتب له الامر شاء أن يسير بنظام الدولة على نمط النظم الارباوية فصدرت أوامره السامية فى أواخر سنة ١٨٦٦ بتشكيل مجلس شورى النواب . وفى أول يناير سنة ١٨٦٧ م افتتح المجلس المذكور بعد أن طير خبره وشادت الصحف الاجنبيةبذلك بذلك . على أنه سرعان ما انقلب الامر لعدم معرفة نواب الامةقدر المسئولية الملقاة علىعاتقهم

وفى سنة ١٨٨٢ ميلاديه تعدى أهل الحبشة على الحدود المصريه مما يلى بلادهم . وأسروا عدداً وافراً من الاهالى فبعثت الحكومة الخديوية تطلب استرجاعهم . وتستفهم عما اقتضى تلك المعاملة ...

ثم اقتضت الاحوال فجردت الحكومه المصرية على الحبشة لكنها لم تنجح بتلك التجريدة وفى سنة ١٨٧٣ ميلاديه زار

اسماعيل باشا الاستانة فقوبل بالترحاب ونال التفاتاً عظيماً من لدن الحضرة الشهانية

وفى يوم ٨ يوليو سنة ١٨٧٣ ميلاديه جاءه الفرمان الشاهانى يخوله كل الحقوق المعطاة لرتبة الخديويه وهاهو بنصه خط شريف مرسل الى سمو الخديوى اسماعيل باشا بخصوص مرسى زيلع مؤرخ أول يوليو سنة ١٨٧٥

لما كنا مقدرين ماقدمتموه ومالم تزالوا نقدموه فى كل حين من البراهين على خلوصكم وصدق أمانتكم نحو ذاتنا الشهانية حق قدرها . ولما كنا راضين عن التنظيمات التى اجريتموها فى مصر وهى جزء مهم من ممالكنا المحروسة .ولما كانت التنظيمات المذكورة منطبقة على رغائبنا ومقاصدنا الشهانية وحيث اننا راغبون فى ازدياد الايرادات الناتجة من مرسى زيلع لانه أهل بالتفاتنا الملوكى فبناء على ذلك قررت سدتنا تكاملة التحسينات المتممه حتى الآن أن تعهد اليكم حكومة هذا المرسى الواقع على شواطيء افريقيا على بعد من مسنجق . حديدة الذى كان المرسى المذكور تابعاً اليه والقاء هذا التنازل يتوجب عليكم أن تدفعوا سنوياً لخيريتنا (١٥٠٠٠ خمسة عشر الف ليره عثمانية والله مسئوول أن تتكلل مساعيكم بالنجاح

وقد أكثر من المشروعات والتحسينات فى كل ركن من أركان عمران الدولة ورقيها . وكان لشدة رغبته فى التنظيم

والتزيين لاينظر الى نسبة النفقات التى تقتضيها تلك المشروعات الى دخل البلاد فتراكمت الديون على تلك الديون فآل الامر الى قيامة لجنة مالية مختلطة لمراقبة دخل ونفقة الحكومة المصريه وذلك فى يوم ٣٠ مارس سنة ١٨٧٨ ميلاديه قرأت هـذه اللجنة عجزاً مقداره مليون ومائتا الف جنيه فتنازل اسماعيل باشا عن أملاكه الخاصه وعن أملاك عائلته ملافاة لما تدارك البلاد من الديون الكثيرة وهى التى تعرف الآن باملاك الدومين. ثم صادق على تعيين ناظر انجليزى للماليه يقال له المستر ديفرس ويلسون وآخر فرنساوى لنظارة الاشغال العموميه يقال له المسيو بلينين . وكانت اجراآت الحكومه المصريه راجعة الى الخديوى رأساً فأجراها الخديوى اسماعيل باشا بواسطة مجلس النظار كما هى الحال الآن .

وفى تلك السنه تقرر استقراض مبلغ ثمانيه ملايين ونصف من الجنيهات فاستدانوها وجعلوا عليها أملاك الدومين رهنا . وهذا هو الدين المعروف بدين (روتشيلد) ثم رأى مجلس النظار وجوب توفير شىء من نفقات الجيش فرفت عـدداً كبيراً من العساكر والضباط

وفى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ ميلادية ثار المرفوتون وجاء نحواً من الفى نفر . وأربعمائة ضابط منهم الى نظارة الماليه وأمسكوا بنوبار باشا والمستر ويلسون وطلبوا اليهما ما كان متأخراً لهم من

الرواتب ثم علت الغوغاء . ولم يكتف الناس حتى أشرف اسماعيل باشا . فلما رأوه بهتوا رعبا . وكأنه اثر عليهـم تأثيراً ساحراً فكلمهم وطيب خاطرهم ووعدهم باجراء مطلوبهـم فانصرفوا ثم استقال الوزيران رياض باشا . ونوبار باشا تخلصا من المسئوليه فى حكومه لا يعرف لها رأس . فولى اسماعيل باشا ابنه البرنس توفيق باشا رئاسة مجلس النظار

وفى يوم ٧ أبريل سنة ١٨٧٩ ميلاديه قلب اسماعيل باشا هيئة مجلس النظار . وعزل كل من كان فيه من الاجانب . وجعل فى مناصبهم نظاراً وطنيين تحت رياسة المرحوم شريف باشا وأمر أن تزداد القوة العسكرية الى ستين ألفا . فشق ذلك على دولتى انكلترا وفرنسا لانهما اعتبرتا عزله للناظرين الانجليزى والفرنساوى من غير سبب . أو علة . من أعمال العداء ضدهما فسعيا الى الانتقام منه بكل ما أوتيا من قوة

وساعدهم على ذلك الباب العالى الذى أصدر أمره فى يوم ٢٥ يونيه سنة ١٨٧٩ ميلاديه باقالة الخديوى اسماعيل باشا من الخديويه المصريه . وتولى أبنه محمد توفيق باشا

طالع دائما

مطبوعات

مكاتب النشر والتأليف

مصر درب المهابيل

تولية الخديوى توفيق باشا

وبعد استقالة الخديوى اسماعيل باشا من الاريكة المصرية غادر البلاد واختار ايطاليا مقاما له فتولى ابنه محمد توفيق باشا وكان قبل جلوسه على عرش مصر تقلب فى وظائف الحكومة السامية مدة حكم أبيه ـ وكان طيب المعاشرة والقلب وحسن السريرة . وكانت أخلاقه فى غاية من الوداعة واللطف . وكان فوق ذلك يحافظ على الشريعة الاسلامية ـ ولم يكن يدرك مكر الاجانب ودهائهم . وكان يميل الى رعيته ميلا شديدا . فكان لا يترك مظلمة الا وقام بتحقيقها بنفسه

ولما اعتلى العرش كانت الامور مختلة . والاحوال مرتبكة بسبب المصاعب التى طرأت على القطر فى حكم أبيه . وكان أهم هذه الاسباب العسر المالى . وعدم انتظام الجندية مما نشأ عن تداخل الاجانب فى أمور البلاد

ففى يوم الخميس ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ ميلادية ورد الى مصر تلغرافا من الباب العالى بتوليته فصدرت الاوامر باعداد ما يلزم للاحتفال ... فجلس فى القلعة يقابل المهنئين واستقالت الوزارة جريا على العادة المتبعة فنظمها تحت رئاسة شريف باشا ومضت مدة بعد ورود التلغراف المؤذن بولايته ولم يرد الفرمان

السلطانى المؤيد لذلك فاختلفت أقوال الامة وظنونهم فى سبب تأخر الفرمان وفى أثناء ذلك صدر الامر للجهادية بتسريح عشرة آلاف من الجند المجتمعين تحت السلاح . وأصبح الجيش المصرى بعد ذلك اثنى عشر الفاً . واهتمت الوزارة وقتئذ بتسوية ديون مصر التى تركها اسماعيل باشا

وفى يوم ١٤ اغسطس من هذه السنة ورد الفرمان الشاهانى بتوليته .

وفى يوم ١٧ منه استعفت وزارة شريف باشا من غير سبب جوهرى ظاهر . فتألفت وزارة جديدة تحت رئاسة الجناب العالى الخديوى ـ وكان رياض باشا اذ ذاك خارج القطر المصرى فامر الخديوى بحضوره على جناح السرعة .... وفى يوم ٣ سبتمبر من تلك السنة وصل رياض باشا الى الاسكندرية ومنها الى مصر ... وفى يوم ٢١ منه كلفه الجناب العالى بتشكيل وزارة جديدة بعد أن قدم الوزراء السابقون استقالتهم . فلبى الطلب ونظم وزارة جديدة . وأخذت حالة البلاد فى التحسن ـ وكانت المطامع التى توغلت فى تركيا لاستعمار القطر المصرى ثانية بإيعاز الاجانب حينما سقط الخديوى اسماعيل لم تكن كافية وكان الباب العالى طامعاً فى مصر كذلك كانت الاجانب أيضاً وذلك رغماً عن حالة البلاد التى تحسنت كثيرا . كانت المطامع المتوغلة فى صدورهم . ان اعتلاء توفيق باشا على عرش مصر لم يكن

حلا كافيا للمسألة المصرية ـ وهذا بمناسبة المطامع التى كانت تتوغل من آن لآن

وأول أمر ابتدأ فيه الاجانب وضعهم الرقابة الفرنساوية والانجليزية على مالية البلاد فكانت الرقابه بين يدى السير دى بلنير عن فرنسا والسير افلين بارنج عن انجلترا ولم تمضى مده الا واستدعته حكومته للخدمة فى الهند (نائب ملك) فحل محله السير (اوكلاند كولفن) ولم تمضى على تعيينه مدة طويلة الا واصدرت الدول العظمى (قانون تصفية) أعلن في شهر يوليو سنة ١٨٨٠ اجمعت القروض والديون وقسمتها الى أربعة أقسام كما يأتي ـ الدين الممتاز .الدين الموحد قرض الدومين ـ (أراضى العائلة الخديوية ودين الدائرة السنية وبلغ مجموعها مليارين وخمسمائة مليون فرنك (مئة مليون جنيه تقريبا) وبمناسبة سداد الارباحات والاستهلاكات وضع المراقبون يدهم على ايرادات الدومين والاراضى المرهونة . وخراج مديريات الغربية والمنوفية . والبحيرة وأسيوط . بما فى ذلك السكة الحديدية والتلغرافات وميناء الاسكندرية وبفضل قانون التصفية . توفرت مبالغ من النفقات تمكنت المراقبة من استهلاك ٢٥ مليونا من الفرنكات وكان الخديوى لم يعارض فى طريقه هذا الاصلاح لانه كان متوقع ان هذه الرقابة تسير فى مصلحة البلاد . . . ولكن من نظرها نظرة فاخص خبير لوجدانها ترمى لسبب آخر وهو ـ تقسيم البلاد المصرية بين انجلترا وفرنسا

بدون ما يشعر الباب العالى

فكان الباب العالى أراد بخلع الخديوى اسماعيل لتوطيد قدميه فى البلاد المصرية . فلم يشعر الا ودولتين قويتين ثبتتا قدمهما باسم الديون.ة وبمناسبة هذه الديون التى على مصر قررت الوزارة تخفيض مرتبات الجيش

وكان الجيش قبل تخفيض مرتباته متذمراً من تدخل الاجانب فى شؤون الدولة فتسبب من ذلك خلاف بين الخديوى والجيش وكان أهم هذا الخلاف ان الجراكسة والاتراك يأخذون رواتب ممتازة عن المصريين . وخصوصا فى الترقية وكانت السبب الاقوى فى الثورة العرابية

الثورة العرابية

وكان أول حجر وضع للثورة العرابية فى منزل نجم الدين باشا لانه أقام وليمة بمناسبة عودته سالما بعد اداء فريضة الحج وكان ذلك فى ليلة ١٤ صفر سنة ١٢٩٨ فدعا أعيان مصر وكبار رجالها ورجال الجيش

ومن الصدف الغريبة أنه كان موجوداً فى هـذا الاجتماع اسماعيل باشا كامل الفريق . وهو جركسى الاصل فالتفت محمد نجيب بك الى الفريق وقال ان ناظر الجهادية لم يلتفت الى العدل فى الترقية

فقال له الفريق — لا تتداخل فيمالا يعنيك . فكأنه بهذا الجواب أن البلاد المصرية أصبحت ملكا للجراكسة . ولا يتداخل فى شؤنها ابناء مصر

فلم يرض محمد بك نجيب هذا الرد . وانما صمت والتفت الى احمدعرابى وقال له ـ اننى كنت أجهل نيات الجراكسه نحونا أما الآن فقط علمت نواياهم

وبينما كان أحمد عرابى جالس أقبل اليه ضابط وأخبره أن كثيرا من الضباط ينتظرونك فى منزلك

فقام فى الحال مستأذنا من محمد بك نجيب وتوجه الى منزله فوجد ضباطا كثيرين من اصدقائه ومن ضمنهم الاميرالاى عبد العال بك حكمدار الآلاى السوداني الكائن مركزه فى طره . والبكباشى خضر افندى من الآلاى المذكور وعلى بك فهمى أمير آلاى الحرس الخديوى بقشلاق عابدين . والبكباشى محمد افندى عبيد من الآلاى المذكور والبكباشى الفى أفندى يوسف من الآلاى الرابع البيادة . والقائم مقام احمد بك عبد الغفار من الآلاي السوارى وغيرهم . وكانوا جميعا فى هياج عظيم بمناسبة الاخبار التى وصلتهم عن أوامر ستصدر بعزل وتقليل مرتبات الاتراك والمصريين فلما رأوا عرابي أفضوا اليه . . فقال لهم عرابي اننى سمعت ذلك الآن بمنزل نجم الدين

يجتمع فى منزل خسرو باشا الفريق ويتذاكرون فى تاريخ دولة المماليك التى افناها محمد على باشا الكبير . وكل ذلك بحضور — عثمان باشا رفقي ويقولون انه قد حان الوقت لرد البلاد اليهم . ليستبدون بها . فقال لهم عرابي ماذا تريدون اذا ؟

فقالوا له . اننا جئناك لنرى رأيك

فقال — الرأى عندى ان تهدئوا نفوسكم وتسلموا شكواكم لرؤسائكم

فقال جميعا — اننا لم نثق إلا بك وسنتخذك رئيساً ونفوض الامر اليك لانه ليس فينا من هو أحق منك

فقال — يجب عليكم التروى . وانظروا غيرى وأنا اكون اول المطيعين له .

فقالوا اننا لا نريد غيرك ولا نثق إلا بك

فقال — ان الامر عصيب وان من يتصدى إلى الحكومة فلا جزاء له إلا اعدام

فقالوا جميعا — اننا نحن نفديك . وانما إذا قمنا بفدائك فكأننا قمنا بفداء الوطن يجب علينا أن نفديه بارواحنا

فقال لهم — أقسموا على ذلك

وفى هذه اللحظة تقدموا جميعاً وأقسموا يمين الاخلاص فقام عرابى باشا وكتب . شكوى وارسلها

الى حضرة رئيس النظارة مصطفى رياض باشا

ومقتضى هذه الشكوى من تعصب عثمان رفقى باشا ناظر الحربية واجحافه بحقوق الوطنيين

وطلب مايأتى . .

اولا : عزل ناظر الجهادية عثمان رفقى باشا وتعيين ناظرة خلافه من المصريين عملا بقوانين البلاد

ثانياً : تشكيل مجلس نواب من نبهاء الامة تنفيذاً للامر الخديوى الصادر عقب ارتقائه الاريكة الخديوية

ثالثاً : ابلاغ الجيش العامل إلى ثمانيةعشرالفاتطبيقاً للفرمان السلطاني

رابعاً : تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافية للعدل والمساواة بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف الاجناس والمذاهب . . .

ثم تليت هذه العريضة على مسامع المجتمعين فوافقوا عليها وامضاها عرابي بختمه . وختم عليها أيضاً على بك فهمى وعبدالعال بك حلمي . . وبعد ذلك عقدوا اجتماعا خوفا من مفاجآت غير منتظرة لعلمهم واثقين من الخطر المحدق بهم من الضباط الجراكسة لانهم سوف يقومون عند مايعلمون خبر هذه العريضة

وفى هذا الاجتماع عمل ترتيب لحفظ البنوك والبيوتات التجارية . وكذلك ما يلزم لحفظهم من بطش الحكومة إذا

ان السبب فى مطالب عرابي وتعدى طلب الجيش اذ طلب انشاء مجلس نواب لانه مطلع على مجريات الامور

وخصوصا تذكر ما حصل من استبداد المرحوم اسماعيل صديق باشا المفتش فى عهد الخديوى اسماعيل . . وخصوصا فانه فى اثناء حكم الخديوى اسماعيل حصل لبعض أفراد من الامة المصرية مظالم فادحة . وتعذيب بدون محاكمة

فلو انشأ مجلس نواب ،سيكون وليد لسلطة الامة فيرشدها الى الطريق الصالح لتحافظ على أموالها وأرواحها من العبث بها

* * *

وفى اليوم الثانى ذهب كل من عرابى . وعلى بك فهمي وعبد العال بك حلمى وقدموا العريضة المذكوره الى خليل باشا يكن وكيل الداخلية ليعرضها على رئيس النظارة رياض باشا . فذهب اليه خليل باشا ثم عاد وقال ـ ان الرئيس يريد ان يراكم. فدخلوا عليه . فقابلهم بوجه بشوش وطيب خاطرهم وقال ـ سأنظر فى الامر فشكروه وخرجوا

وانتظروا بعد ذلك اسبوعا كاملا فلم يأتهم رد فذهبوا هم الثلاثة ايضا الى قصر رياض باشا وطلبوا الاستئذان بمقابلته فأذن لهم ـ وبعد الاستئذان سألوه عن ما تم فى أمر عريضتهم . . . فأجابهم ان هذه العريضة مهلكة وهى أشد خطرا من عريضة

احمد (١) فنى الذى ارسل الى السودان بسببها

وماكاد يسمع عرابى بهذا الرد لم يتقهقر وانما قال ـ اننا ياجناب الرئيس لم تطلب فى هذه العريضة الا مطالب عادلة وليس فى طلب الحق من خطر وخصوصا اننا نعتبرك ابا المصريين وما هذا التلويح والتخويف . . .

فتبسم رياض باشا وقال. ليس فى البلاد من هو اهل لان يكون عضواً فى مجلس النواب

فقال عرابي ـ وعلامة الغضب بادية على محياه انك ياجناب الرئيس بصفتك مصريا وباقى النظار مصريون والخديوى أيضا مصرى . انظن أن مصر ولدتكم ثم عقمت . كلا . . .. كلا . . . والف مرة كلا الحمد لله أن البلاد ملآنه بالعلماء والادباء والحكماء والنبهاء . . . . وعلى فرض أنه ليس فيها من يليق لان يكون عضواً فى مجلس النواب أفلا يمكن أنشاء مجلس يستمد من معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية تخرج لنا بعد خمسة اعوام رجالا يخدمون الوطن بفكر ثاقب . ويعضدون الحكومة فى مشاريعها الوطنية . وما كاد رياض باشا يسمع ذلك حتى تبسم

«١» احمد فنى كان كاتبا بديوان المالية فوجد الاجحاف الذى يحيق الوطنيين فى حقوقهم. وعدم المساواة امام الجراكسة فكتب عريضة بذلك فكان نصيبه ارساله الى السودان حيث [illegible] ؟

ضاحكا . كأنما كبر لديه ما سمعه وقال . اننا ننظر فى طلبكم بدقة

وفى شهر ربيع الاول سنة ١٢٩٨ هجرية انعقد بسراى عابدين مجلس تحت رئاسة الخديوى حضره جمع البشاوات والمستخدمين والمتقاعدين . من الاتراك والجراكسة وقرروا ايقاف عرابى . وعلى بك فهمي . وعبد الله بك حلمي امراء الالايات الثلاثة الذين وقفوا على العريضة . ومحاكمتهم جميعا أمام مجلس تأديب فوق العادة

فلاحظ رئيس النظارة رياض باشا أنه اذا صار ايقاف هؤلاء الثلاثة واجب ايقاف ناظر الجهاديه عثمان رفقي باشا الجركسى وإلا تفاقم الخطر ويشتد وتكون النتيجة غير حسنة فلم يوافق الجناب الخديوى على ذلك ـ وقال ـ ان ناظر الجهاديه هو الذى يضمن لنا حفظ النظام

وما كاد يسمع ذلك عثمان رفقي باشا الا وقال ـ اننى مستعد لحفظ النظام . والقبض عليهم بسهولة ـ . ثم دعى أحمد خيرى باشا رئيس الديوان الخديوى وتلا بالمجلس أمرا عاليا فيه ما يأتى.

أن هؤلاء الامراء الثلاثة مفسدون فى الارض وأنه قرر فيه وقفهم عن الخدمة ومحاكمتهم على افسادهم بالعقاب الصارم فى مجلس عسكرى فوق العادة تحت رئاسة ناظر الجهادية وادخل ضمن أعضائه استون باشا رئيس أركان الحرب (وهو أمريكى . ولاومى باشا ناظر المدرسه الحربيه وهو فرنسى .

وغيرها من ضباط الجراكسة فوقع عليه الخديوى وسلمه الى ناظر الجهاديه وارفض المجلس وفى مساء ذلك اليوم ارسل ناظر الجهاديه الى عرابى واخوانه رقاع دعوة للاحتفال بزفاف جميله هانم شقيقة الخديوي فى قصر النيل بديوان الجهادية . . وفى صباح اليوم الثانى ذهب عرابي واخوانه وهم متأكدين انها حيلة يراد بها اغتيالهم والبطش بهم فاخذوا حيطتهم وعملوا لكل ذلك التدابير اللازمة لنجاتهم اذا حصل لهم مكروه

وما كادوا يصلون قصر النيل حتى وجدوا الديوان غاصا بجميع الضباط الجركس وبايديهم المسدسات وهم فى بهجة وسرور . وما كادوا يلجون ساعة الديوان حتى احتاط بهم الضباط والجنود . فاندهشوا اذ وجدوا فى حفلة الزفاف مجلسا عسكريا مؤلفا وتلى عليهم امر الخديوى بتوقيفهم ومحاكمتهم - ثم نزع منهم سلاحهم وسيقوا الى سجن فى قاعة بقصر النيل . وهنا حل بهم روع شديد وتأكدوا انهم مقتولين لامحالة وان تدابيرهم قدذهبت أدراج الرياح

ولكن فاتهم ان ورأهم رجال أدوا يمين الطاعة والاخلاص للوطن المفدى . وسرعان ماوصل هذا الخبر الى البكباشى محمد افندى عبيد ومحمد افندى عيسى . وأحمد افندى فرج . وهذا الاخير هو أول من ازاع خبر سجنهم

فالاولان سارا باورطتيهما الى قصر النيل واحتلوه . .

واخرجوا قوة واقتدار عرابي واخوانه من السجن . وعند ماسمع ناظر الجهادية احمد رفقي باشا بهذا الحادث فر هارباً هو ورجال المجلس الى سراى عابدين . وما كادوا يصلون الى هناك حتى وجدوا مازادهم رعباً . . ثم انهم وجدوا احمد افندى فرج باورطته فى ساحة عابدين

ووصل الخبر الى البكباشى خضر افندى فى طره لحضر بالآلاى السودانى

وعند ما رأى الجناب الخديوى ذلك طلب جميع الباشوات وتفاوض معهم فى الامر . وكان الواسطة ورسول السلام محمود باشا سامى ناظر الاوقاف . بين الخديوى وعرابى وبحكمته قبل الخديوى طلبات عرابى التى جاءت بالعريضة وعزل عثمان رفقى باشا ناظر الجهادية وتعين محمود سامى باشا مكانه مع بقائه ناظر للاوقاف .

وبهذا الحل عادت الامور الى مجاريها . وقامت وزارة الجهادية بسن قوانين عادلة للعسكرية . ولكن لم تنقطع دسائس الحكومة بالرغم من التظاهر بارضاء رجال العسكرية . وكيف ترضى لرجال الحكومة وهي عالمة أن الامة بأجمعها من علمائها ووجهائها الى اصغر صغير فيها تقدس عرابي وتجله لانه انتشلها من هاوية الانحدار والفوضى التى كادت تسقط فيها بتفريط الحكومة فى أمور الامة ـ كبيع كثير من الاراضى للاجانب

وتعيين الكثير منهم فى ادارات الحكومة ومصالحها بمرتبات ضخمة وغير ذلك من المغارم الكثيرة . . ولما كثرت هذه الدسائس وظهر اهمال الحكومه فى التصديق على القوانين العسكريه التى تم تنظيمها . وعدم شروعها فى تشكيل مجلس النواب كما وعد الخديوى فايقن عرابى ان الحكومه تماطل الامه فى مطالبها المشروعه

فجمع الجيش بأجمعه وقام به الى سراى عابدين لعرض الطلبات للمرة الثانيه . . . وذلك فى صباح ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ميلادية وعند ما علم الجناب الخديوى بذلك استدعى عرابي وسأله عن اسباب حضور الجيش فاجاب من المظالم التى لحقتنا من رياض باشا . وعليه قرر الجناب عزل وزارة رياض باشا واعاد المعزولين من الضباط فسأله الجناب العالى عن من يشكل الوزاره الجديده ؟

أجاب عرابي . شريف باشا هو الذى يشكل الوزارة . . . وعليه تشكلت الوزارة وأعلن الدستور وحصلت الانتخابات فكانت النتيجة باجمعها انتصار الرجال عرابى باشا . وكان أول اعمال البرلمان تقرير عقد قرض قدره اثنى عشر مليون جنيه لوزارة الحربية خاصة . . فوجد الرقيبان الانكليزى والفرنساوى خير فرصة يغتنمونها لانهما كان فى ذاك يصطادان فى الماء العكر فقدما احتجاجهما والحقا هذا الاحتجاج بمذكرة شديدة اللهجة

من الحكومتين الانجليزية والفرنساوية للحكومة المصريه وعند ما وجد ذلك شريف باشا رئيس الوزاره ابى قبول قرار مجلس النواب وآثر الاستقالة. غير ان الجناب العالى تأثر بانذار الامة المصريه . لان الامة المصرية كانت فى ذاك الحين نالت قسطا وافراً فى الدروس عن الحرية من السيد جمال الدين الافغانى وعرفت معنى هذه الحرية. وعندما وجدت احتجاجى الحكومتين الفرنساوية والانجليزية على مشروع النواب الداخلى فى مسألة الجيش فقدمت بادىء بدء احتجاجا شديد اللهجه للحكومية المصرية وتحذيرها بعدم التفات لاحتجاج هاتين الدولتين ولا تجعل لهما الحق تدخل فى شؤون مصر الداخلية . فوجد الجناب العالى ان طلبات الامة عادلة .فعين عرابى وزير الحربية فكان ذلك اعظم انتصار للامة المصرية والوطنيين وحربا عوانا على الدول المكلفة برقابة المالية والسير بمصر فى سبيل الادارة الحكيمه التى كانا يقومان بها ظاهرا ويبحثون فى الباطن عن كيفية استعمار مصر فساعدهما الحظ فى ذاك الحين اذ حصل انشقاق بين الضباط الاتراك والمصريين أدى الى احتجاجات من الباب العالى فعند ما وجد عرابي ذلك أصدر الاوامر بتحصين السواحل وفى اعداد مصانع السلاح والذخيرة . فاشتد القلق بين سفراء باريس ولندن . . . فأمر عرابي تعيين خمسه قواد وتسعه وعشرين ضابطا وأعلن عن عزمه فى زيادة الجيش المصرى أربعة آلاف جندى

فساعده زملاءه الوزراء وعضده نواب الشعب. وبعد ذلك علمت الامة ان الاسطولين الانجليزى والفرنساوى وصل الاسكندرية وقاما بمظاهرة بحرية قصيرة سلمية

وعند ما وجد عرابى ذلك أمر بالعناية فى تحصين السواحل وعند ماعلم بذلك الباب العالى أمر بعقد مؤتمر فى الاستانة... وبينما المؤتمر منعقداً حصل حادث لم يكن فى الحسبان اذ أحد الاجانب المالطيين ركب حماراً وطلب من الحمار توصيله الى رصيف الجرك : ولما أوصله الى هناك أبى أن يدفع له أجرة ولما ألح عليه بالطلب أخرج مدية من حزامه وطعنه بها فمات امام أعين الوطنيين فهاجت الوطنيين على المالطي فقتلوه فتداخل كل من كان موجوداً من الاجانب وبذلك تحولت هـذه المشاجرة الى مجزرة ذبح فيها من الاجانب ومن الوطنيين عدد عديد . وكان السير جارنت واسلى حشد جيشاً من الهنـد ورابط به على القناة . وأعلن اللورد جرانفل انه قد صدرت الاوامر الى الاميرال سيمور بمهاجمـة الاسكندرية وطلب مساعدة الاسطول الفرنساوي فارسلت الحكومه الفرنساويه الى الاسطول الانجليزى بقولها ان المسألة لاتحتاج الى اطلاق نار وان فرنسا على الحياد اذا اتت انجلتره أى عمل ضد المصريين ونصحت المندوب الانجليزى أن ينتظر مايتم من أمر المؤتمر المنعقد فى الاستانه. . .ولـكن انجلتره التى تبحث عن استمهاد

مصر من أعوام عديدة وامامها من السهل جدا دخول ميناء الاسكندريه لانها لم تكن على تحصين كاف لوقايتها ففى يوم ٨ يناير سنه ١٨٨٢ وجهت الحكومتين مذكرة الى الجناب العالى الخديوى تخبراه بعزمها على صون عرشه وان يقوما بجهدهما المشترك على سلامه مصر الداخلية والخارجية ولكن في ذاك الحين سقطت الوزارة الفرنساويه فتميرت سياسه فرنسا نحو مصر وتخلت حتى من مساعدتها . فوجدت انجلتره ان خير فرصه لها أنها تتقدم نحو العمل وتبلع مصر لتكون لها لقمة سائغه فارسل الاميرال سيمور الى قائد جيوش الاسكندرية انذاراً بالعدول عن أعمال التحصين ونصب المدفعيه ... أرسل اليه هذا الانذار كان البلاد بلادهم وعلى ذلك لم يقبل القائد المصرى هذا الامر المجحف . وفى صباح اليوم الثانى وهو اليوم المشئوم فى تاريخ الامة المصرية . نعم ان ذلك اليوم هو أول حجر أساسى فى سبيل استعمارهم لهذا البلد الامنة المطمئنة .. نعم اطلقت البوارج الحربية ناراً حامية سرعان ما هدمت الحصون وحطمتها تلك القنابل البحرية الضخمة وخربت جملة منازل . وقتل عدد كبير من الوطنيين

وفى يوم ١٥ يوليه تمكنت الجنود الانجليزية من النزول الى البر اذ كان ميسوراً لهم النزول لان الجيش المصرى قد انسحب من قبل بعد ان اطلق جميع المسجونين فتمكن البدو القادمون من الصحراء والغوغاء من العاطلين من ذبح اكثر الاوربايين

وما دخلت الجنود الانجليزية الا وكانت مدينة الاسكندرية انقاضاً وأكواما فارسل الاميرال سيمور فى اعلانه بضرب الاسكندرية ..

(ان حكومة بريطانيا العظمى لا تنوى البتة افتتاح مصر ولا ان تتعرض بحال الدين وحرية المصريين وان كل ما نقصد اليه هو حماية سموكم والشعب المصرى من الثائرين

* * *

انسحبت الحامية المصرية من مدينة الاسكندرية وعسكرت فى كفر الدوار . وكان فى ذاك الوقت صاحب الدولة درويش باشا المندوب السامى الشاهانى ضيفا عند الخديوى .. وعند ما حصلت هذه الحوادث كان موجودان بسراى رأى التين ولكنهما غادرا السراى وذهبا الى القصر المعروف بسراى مصطفى باشا بالرمل ووضعا نفسيهما تحت حماية الاسطول الانجليزى

* * *

وحصلت مناوشات بين الجيش المصرى العرابي وبين الانجليز دامت الى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ اذ كانت فى هذا اليوم الموقعة الاخيرة هى موقعة التل الكبير التى جعلت السيد عبداً . والحر سجيناً نعم ان الانجليز رأوا ان الجيش المصرى رابض فى موقع حصين فاستدرجوه الى ميدان يسهل عليهم تشتيت شملهم . فقرروا ان يسافر الجيش البريطانى عن طريق قنال السويس وكانت الجواسيس من المصريين قاموا بلعبتهم فى سبيل استعمار الانجليز اولئك

الخونة ألذى كانوا هم السبب الاقوى فى انتصار الانجليز وتثبيت قدمهم نعم علم عرابى بانتقال الجيش الانجليزى فانتقل برجاله من معسكره الحصين لملاقاة الانجليز فالتقى الفريقان فى التل الكبير. فكان الجيش الانجليزى مؤلفاً من سبعة عشر الفاً من الجنود البريطانية المدربين والجيش العرابى مؤلفاً من سبعة وعشرين الفاً الذين جمعهم عرابى باشا بلا ترتيب ولا نظام ... فلم تدم هذه الموقعة أكثر من عشرين دقيقة .... ان الكاتب مهما كتب لا يستطيع بحال من الاحوال أن يعبر عما كان بجيش بصدر الرجل العظيم الذى وقف مدافعا عن بلاده .. نعم لا يمكنه مهما كان قادراً فى كتابته أن يصف شعور عرابى فى تلك اللحظة الرهيبة

تقهقر جيشه الباسل وأسباب تقهقره عدم تدريبه على القتال... ثم تحول التقهقر الى هزيمة وانكسار ... حاول عرابى باشا ان يحمل رجاله على الثبات فى موقفهم فما استطاع الى ذلك سبيلا ففر من فر وقتل عدد عظيم . وتم النصر للانجليز

ودخل الجيش الانجليزى فى مدينة القاهرة فى اليوم التالى اعنى يوم اربعة عشر سبتمبر سنة ١٨٨٢ م وعسكرت خيالة الانجليز فى العباسيه



وعاد الجناب العالى الخديوى الى عاصمة ملكة وسقطت الوزارة وصدرت الاوامر بالقبض على رؤساء الثورة وعلى رأسهم عرابي . فتقدموا الى مجلس حربي فحكم عليهم جميعا بالاعدام

ولما أرسل الحكم الى الجناب العالى لتصديق عليه استبدله بنفيهم من القطر المصرى . وذهب عرابى باشا الى قصر النيل يوم ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٨٢ ومن هناك غادر القطر المصرى بمن نفى معه من البشاوات بقطار خاص فى الساعة العاشرة مساء فوصلوا السويس فى الساعة الثامنة صباحاً . وفى الساعة العاشرة دخلت الباخرة (مار يونس الانجليزية) فنزلوا فيها جميعا . فوصلوا فى ٩ يناير سنة ١٨٨٣ جزيرة سيلان و قواقيها الى ٢٤ مايو سنة ١٩٠١ حيث شملهم العفو فعادوا الى مصر (١)

ولما ثبت المحتل قدمه كثرت الوشايات ضد ابناء مصر الآمنين وكان جزار المصريين فى ذاك الحين رياض باشا فقام رجل اسمه اسكندر افندى اسلام ذهب الى دار المعتمد الانجليزى واخبره انه يوجد جمعيه سريه تسمى جمعية الانتقام يرأسها الدكتور محمد بك سعيد الفرنساوى الاصل وقد كان طبيب دائرة الامير احمد أحد اعضاء الاسرة الخديوية وسرعان ما أجروا التفتيش وقبض على مفكرى مصر من الوجوه الآتى بيانهم

(١) حسين بك فهمي . محام (٢) عبد الرزاق بك ناصر

---

(١) كانت مدة عرابى بسيلان نحو التسعه عشر سنه مكثها محترماً مكرماً لما قام به هناك من جلائل الاعمال حيث حث على انشاء المدارس ـ ولما عاد الى مصر وافته المنيه فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩١١ فكانت مدة اقامته بمصر بعد منفاه عشر سنوات ؟ اه

المدرسة البحرية (٣) مصطفى بك صادق . من دائرة الامير حليم (٤) محمد افندى فنى . مترجم أول مجلس النظار (٥) محمد بك طاهر . ابن المرحوم طاهر باشا الكبير (٦) عثمان بك طاهر . ابن محمد بك طاهر المذكور (٧) حسين بك صقر (٨) سعد افندى زغلول (٩) عبد الرحمن بك خوجه احمد (١٠) محمود افندى السودانى (١١) محمد افندى رشاد (١٢) مصطفى افندى نشأت (١٣) محمد افندى الشامي (١٤) الشيخ محمد نور وقدموا للمحاكمة فى جلسة كان رئيسها محافظ مصر عثمان باشا غالب الشهير بالسنيوره ومعه عضوان بلجيكيان وكان المدعي العمومي خير بطل خدم بلاده هو العالم العلامه الاستاذ محمود بك سالم الذى اثبت بموقفه انه خير وطنى خدم بلاده فحكمت المحكمة ببراءتهم من تهمة الخيانه العظمى والغدر ــ ولكن ــ اعداء البلاد لم يرق لهم هذا الحكم فاستصدروا أمر الخديوى المحافظ بالقاء القبض عليهم ثانيا وزجوهم فى السجن وجرعوهم كؤوس العذاب انهم لم يكونوا مؤلفين لجمعية ما وانما كانت يد الانتقام هى التى زجتهم فى أعماق السجون فارسل عبد الرزاق بك أحد هؤلاء المسجونين ظلما وعدوانا الى عميد الانجليز السير افلن بارنج (اللورد كرومر) كتابا أخبره فيه عن سجنهم والمظالم التى نالتهم ولم يمض يومين حتى وصلهم رسول يبلغهم أن اللورد لايمكنه التداخل فى أمرهم تدخلا ظاهرا وانما سيبحث لهم عن طريقة الخلاص . ثم سألهم الرسول عن الاحتلال الانجليزى فأجابوه انهم اذا رأوا انجلترة تحد أجل

الاحتلال سوف يقومون ضدها يداً واحدة لان السجن مهم يكون لايزعزع عقيدتهم . فاخبر الرسول اللورد كرومر بذلك وعليه أمضوا فى السجن ستة أشهر ـ وكان من ضمنهم الزعيم الجليل سعد زغلول باشا كما تراه فى القائمه

الثورة المهدية

بينما كانت حوادث الثورة العرابية تتابع فى مصر كانت ثورة مثلها او قدها السودانيون وكان زعيمها احد الدراويش الذين كانت لهم سلطة عظيمة بين القبائل وهو محمد احمد المهدى (١) فكانت طريقته التى سار القيام بها وهى السبب الاقوى فى اشتعال نار الثورة هى . أن الاتراك والمصريين كفار فلايجب على السودانيين اتباع أحكامهم . وكان فى ذاك الحين الجهل ضاربا اطنابه فى البلاد السودانية وبذلك نال ثقة القبايل فنادى بنفسه خليفة النبى ﷺ . وأنه هو المهدى المنتظر الذى سيحيي بيديه شعائر الدين الاسلامى . وكثرت دعاياته وأنصاره وانتشروا فى جميع انحاء السودان فقد ماوصل الخبر الى حاكم السودان رؤف باشا جمع جيشا فى ديسمبر سنة ١٨٨١ لقمع هذه الثورة . فانكسر الجيش المصرى وانهزم شر هزيمة . فكان هذا الانهزام أكبر نصر

(١) ولد محمد المهدى فى جزير ضرار من أعمال دنكة سنة ١٨٤٨ ميلاديه

للدعاية المهدية : فالحقه رؤف باشا بجيش آخر فى يونيو سنة ١٨٨٢ اعنى قبل قيام الثورة العرابية بشهر واحد فاصيب قائدة وهو يوسف باشا واندحر الجيش أيضاً فازداد نفوذ المهدى واستولى على الابيض ثم زحف على الخرطوم فاسرع القائد الانجليزى هكس باشا بعشرة آلاف رجل لنجدة المدينة ولمساعدة الجيش المصرى فى الظاهر فنال بعض النجاح . وارتد المهدى الى كردوفان ولكن المهدى الذى كان النجاح حليفه لم يرتجع عن القائد الانجليزى فصار يباغته من حين الى آخر بمناوشات عنيفه غير أنها ما كانت تأتى بطائل ولكن فى شهر (نوفمبر سنه ١٨٨٣م) أعنى بعد احتلال مصر بثلاثه عشرا شهرا تقريبا انتصر المهدى على الجيش الانجليزى واحاطوا به فقتل القائد هكس باشا وضباطه وفريق عظيم من رجاله . وكان الجنرال صموائيل بيكر قد أرسل بنجدة من القاهرة لكسر شوكة العصاة فسار الى السودان الشرقي حيث كان عثمان دقنه قد نشر دعوة المهدى فى هذه الامتاع

وعند ماعلم عثمان دقنه بخبر هذه الحمله جمع جيشا عظيما والتقي بالحملة المصريه وكسرها وشتت جيشها فى فبراير (سنة ١٨٨٤ م)

فكان من نتيجة هذه الانتصارات المتواليه أصبح المهدى صاحب سلطة لا يستهان بها . وكلمته لا ترد فى جميع انحاء السودان فاهتمت الحكومة الانجليزية لهذا الامر الجلل وارسلت الى احد رعاياها وهو من القواد العظام غوردون باشا أن يخلى السودان فلم يتيسر له وتحصن فى الخرطوم حيث حاصره رجال المهدى

وقتلوه شر قتلة فى يناير سنة ١٨٨٥م . . وعلى أثر هذه الانكسارات اتفق الجيش المصرى والانجليزى بالجلاء عن البلاد السودانية فانجلوا عنها وصارت حدود مصر تنتهى عند وادى حلفا وظلت الامور على هذه الحال الى سنة ١٨٨٨ ميلاديه اذا كانت الحكومة الانجليزيه فى هذه الفترة درست أحوال المصريين وثبتت قدمها فاتفقت مع الحكومة المصرية على حملة مشتركة من الجيش المصرى والانجليزى لاستعادة السودان

وكان عميـد الحكومة الانجليزيه فى مصر * اللورد كرومر * وكان محمد المهدى قد توفى سنة ١٨٨٥ م وخلفه فى الزعامـة عبد الله التعايشى فكانت له سلطة المهـدى اذ قام بحروب مع الحبشة وانتصر عليهم فعلل نفسه بفتح مصر ولـكنه فوجىء بخبر الحملة المصرية الانجليزية التى كانت تحت قيادة السردار (فرنسيس غرنفيل) فاول ما قابلت فى حروبها الدراويش انتصرت عليهم فى جملة مواقع . وقد ساعد الجيش المصرى والانجليزى مجاشى الحبشة الذين كانوا على كراهة تامة للسودانيين بمناسبة الحروب التى دارت بينهما . . ثم واصل الجيش المشترك الى توشكى فهزم السودانيون فى هذه الموقعة شر هزيمة سنة ١٨٨٩ وقتل ١٢٠٠ قتيل وأسره ٤٠٠٠ وفر باقى الجيش وكان بين الهاربين الزعيم الاكبر عثمان دقنه . . فاحرز انتصارات باهرة على طول الخط ولـكن لم يتم له فتح السودان إلا بقيام جيش آخر تحت قيادة السردار كتشنر باشا فانه زحف من مصر بجيش

مؤلف من مصريين وانجليز . فكان الانتصار حليفه فى كل موقعة وأهم هذه المواقع موقعة عطبره التى وقع فيها أسيراً ابن عم التعايشى . والفان من رجاله فواصل كتشنر باشا الزحف الى أن وصل الى أم درمان فقابله التعايشى فيها فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨م فانكسر الجيش السودانى وفر التعايشى ودخل الجيش المصرى والانجليزى المنتصر الخرطوم بعد أن قتل وأسر عدداً لا يحصى وفى سنة ١٨٨٩ م قامت موقعة وهى ختام المواقع بين ونجت باشا والتعايشى فقتل فيها التعايشى وعند ماقتل تشتت شمل رجاله

عود على بدء

بينما الحروب السودانية قائمة على قدم وساق فوجئت الامة بوفاة أميرها الخديوى توفيق باشا (فى ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م) بعد مرض لم يدم بضع أيام وشك فى هذه الوفاة وحصل لغط شديد بين المصريين واتهموا الحكومة التركية فى أمر هذه الوفاة

وكان ولى عهد الخديوية وقتئذ بالنمسا . وعند ماوصله الخبر عاد الى مصر فى ١٦ يناير سنة ١٨٩٢ م وكان ميلاد الخديوى عباس باشا حلمي فى سنة ١٨٧٤ م وقد ابتدأ دروسه فى مصر ثم أرسله أبوه الى جنيف فى سويسرا وانتقل الى مدرسة فينا فاحرز من العلوم نصيباً وافراً وزار عواصم أوربا ودرس نظمها وأحوالها وكان يصحبه دولة شقيقه البرنس محمد على فجلس على عرش الاريكة الخديويه وله من العمر ١٨ سنه فكانت الوزارة الموجودة تحت

رئاسة مصطفى فهمي باشا فاستبقى الوزارة ولم يقبل استقالتها وأبقاها في الحكم عاما كاملا ثم تغيرت بوزارة رياض باشا في سنة ١٨٩٣م وغيرها بوزارة نوبار باشا سنه ١٨٩٤ م وعادت وزارة مصطفى فهمي باشا ثانياً سنة ١٨٩٥ . وخلفتها وزارة بطرس باشا غالى

وكان على عهده قد تم افتتاح السودان وعلى ذلك بعد مفاوضات بين الحكومتين الانجليزية والمصرية ثم عقد اتفاق بموجبه أن السودان يكون تابعاً للحكومتين المصرية والانجليزية ويحكمه سردار انجليزى تختاره حكومة لندن ويصدر أمر تعيينه من سمو الجناب الخديوى وكان في عهده على حسب احصاء سنة ١٩٠٧ عدد سكان القطر المصرى (١١٫٢٨٧٫٣٥٩ نفسا) وأما المالية فتقدر ايرادات الحكومة بنحو (١٦٫١٣٠٫٠٠٠) والمصروفات مبلغ (١٥٫٦٣٠٫٠٠٠) أما الدين الذى كان باقيا على مصر فيناهز (٩١٫٥٠٠٫٠٠٠) وتدفع مصر للدولة العلية جزية سنوية قدرها (٦٥٥٫٠٤١ (أما العملة فكانت تضرب باسم جلالة سلطان تركيا

حادثة دنشواي

ان الاحتلال الانجليزى من عهد ابتدائه الى عام ١٩٠٦ م كان قد ارتكب مظالم كثيرة وكانت تساعده فى ذلك حكومة البلاد واكبر هذه المظالم وأفظعها هى حادثة دنشواى . وتفصيل هذا الحادث بل الجرم الفظيع الذى ارتكبه الاحتلال الانجليزى

تمهيد

بينما كانت اورطه انجليزية ذاهبة فى طريقها من القاهرة الى لاسكندريه فعسكرت صباح ١٣ يونية سنة١٩٠٦ فى قرية كمشيش بلدة من بلاد مديرية المنوفية . وبعد أن رتب القواد معسا كرهم اتفق خمسة من الضباط أن يذهبوا الى قرية دنشواى التى تبعد عن معسكرهم نحو خمسة اميال لانهم علموا بوجود عدد كبير من الحمام الداجن الذى تمتنى اهالىالقرية بتربيته وان هؤلاء الضباط ذهبوا بملابسهمالعسكرية الىهنالكوعندماوصلوا لى القرية انقسموا فىضاحيتها الىفريقين وبدأوا بالصيد. وعند ذلك شعر الاهالى باطلاق البنادق فاعترضوهم فنشأعن ذلكخلاف ادى الى اصابة امرأة وطنية وثلاثة من رجال القرية بجراح من رشاش البنادق . فحاول الضباط الانصراف عن القرية الا أن الاهالى أبوا أن يتركوهم فقبضوا على ثلاثة منهم وحجزوهم لعرضهم على العمده أو المأمور لاجراءاللازمضدهم وفر الاثنان وأحدهما هو الكبتن بول بعد أن جرى مسافة اربعة أميال ونصف فاصابته ضربة الشمس الحارة فسقط بجوار قريةأخرى تسمى (سرسنا) كائنه على الطريق التىكانالضباط قد سلكوها فى مجيئهم فوصل الكبتن بوستوك وهو الضابط الثاني فابلغ أورطته بما حصل. فلماسمعتالاورطههذاالخبرارسل قومندانها داوريه الى مكان الحادثه . فلما وصلت هذهالداوريه الىسرسنا

وجدوا الكبتن بول ملقى على الارض وقد فارق الحياة . وكان أحد القرويين يعتنى به فظنوه انه هو الذى قتله فاطلقوا عليه النار ومزقوه بحرابهم . بعد ذلك واصلوا سيرهم الى قريه دنشواى واحتاطوا بها واذ ذاك اطلق سراح الضباط . وبعدها قدم الضباط بلاغا الى قومندان الحاميه الانجليزيه بما حصل فكتب الى اللورد كرومر طالبا منه النظر فى هذه القضيه بمقتضى دكريتو سنه ١٨٩٥ (١) وعليه فان المستر متشل الانجليزى مستشار الداخليه ذهب فى اليوم الثانى الى دنشواى مع عدد كبير من البوليس وقبض على ٣٥ من أهالى دنشواى . ولولا أن باقى رجال القرية فروا لكان قبض عليهم ايضا

وفى الحقيقة التى لاريب فيها ان الفارين هم الذين كانت لهم يد فى تلك الحادثة رغم انهم لم يعملوا عملا مخلا بالقانون لانه غير مصرح بصيد هذا الحمام لانه ملكهم الخاص . ولكن العدالة الانجليزية لم تلتفت لذلك ... وبناء على ذلك صدر دكريتو

---

(١) فى عام ١٨٩٤ و ١٨٩٥ حصلت مشاجره بين بعض بحارة الاسطول الانجليزى وبعض الوطنيين واصدرت المحكمة الاهلية حكمها فلم يكتف اللورد كرومر بذلك واكره الحكومه على اصدار دكريتو فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٥ ذلك القانون الذى اعطى الانجليز حقا شرعيا لتداخلهم فى كل قضية تتعلق بجيش الاحتلال

باسم الخديوى زعم أن الخديوى كان فى أوربا وقتئذ تشكلت محكمة مخصوصه وانتخبوا جناب المستر بوند وكيل محكمة الاستئناف الاهليه واحمد بك فتحي زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائيه الاهليه عضوين بالمحكمة المخصوصة

وكان ناظر الحقانيه بطرس باشا غالى . وفى ذات اليوم الذى صدر فيه الدكريتو وهو ١٧ يونيه سنة ١٩٠٦ وزع المستر متشل المستشار الانجليز بوزارة الداخليه منشورا رسميا على الصحف . فاجحف بالحادث ونتيجة التحقيق ومن ١٧ منه الى ١٩ منه قام بالتحقيق المستر بوند واحمد بك فتحي فى جلسة سرية ولم يسمح لاحد مخبرى الصحف بحضورها كما أنه لم يعين من يدافع عن الاشخاص المقبوض عليهم . وفى يوم ٢٠ منه أعلن للعموم أن التحقيق قد انتهى وبموجبه قد تقرر اصدار احكام باعدام وأن اللورد كرومر كان عالما بنتيجة التحقيق ووافق على العقاب الصارم . وعلمت من ثقه أن اللورد كرومر قبل سفره الى انجلتره وضع رسم هذا العقاب ... نعم . انه لا يوجد مصرى فى مصر يستطيع احتمال مسؤلية كهذه فى هذه الاحكام

وفى يوم الاربعاء امرت نظارة الداخليه بتجهيز المشنقه وارسالها الى دنشواى فارسلت المشنقه فى هذا اليوم ومعها عشرين حبلا دكان ذلك . ولم يصدر الحكم رسميا لان المحكمه انعقدت فى ٢٤ منه أعني بعد ارسال المشنقه باربعه أيام فتألفت

المحكمه المخصوصه بأمر وزارى وانعقدت فى بندر شبين الكوم عاصمه المقاطعه التى حصلت فيها الواقعه ... ولنا ملاحظات قد لاحظناها ـ أولا ـ أن المحكمه انعقدت بطريقه غير جائزة شرعاً لانه لم يظهر مما أوضحه المستر متشل فى التحقيق الابتدائي وتحقيق البوليس مايفهم منه أن الحادثة تتعلق بالعساكر الانجليزية (ثانيا) ان القضاء الذين عينوا للنظر فى القضيه التى صرح السير ادوارد وجراى وزير خارجيه انجلتره ان هذه القضيه ذات علاقه بالتعصب الديني ـ كيف تكون لها علاقه بالتعصب الديني وتتألف من ثلاثه قضاة من الانجليز ومصرى مسيحي وآخر مسلم فقط (ثالثا) يلاحظ أن قاضيين من القضاة الخمسه كانوا قد اشتغلوا قبلا بتحقيق هذه القضيه نفسها سراً (رابعا) رغما عما قيل رسميا ان جميع اعضاء المحكمه يعرفون اللغه العربية ومهما تكن قدرة الثلاثه الانجليز فى اللغه لا يمكنهم معرفه لغه هؤلاء المتهمون الخمسه والثلاثون. وكذلك أن أهالى هؤلاء المتهمين لم يفهموا شهادات الضابط الانجليز الذين قدموها بلغه بلادهم . ورغما من أنها مؤلفه من خمسه قضاة هم المستر هيتر نائب نظارة الحقانيه الكولونل لودلو . بطرس باشا غالى ناظر الحقانيه احمد بك فتحى زغلول . المستر بوند . ورغم أن القضاة كانوا خمسه كانت السلطه منحصرة فى المستر بوند التى احتكرها احتكارا ...

وكان كل من حضر فى المحكمه يظهر امامه الامر الوحيد الذى عهد الى المحكمه هو الاسراع باصدار الاحكام التى سبق الاتفاق عليها ... ان الشهود الذين أدوا الشهادة اكثروا تأثرا من المظاهرات العسكريه التى أحاطت بالمحكمه

طريقة المحاكمة

كان مجموع المتهمين لغاية انعقاد المحاكمه ٥٢ رجلا ودامت اسئلتهم ثلاثين دقيقه تماما بمعنى أنهم لم يمهلوهم ريثما يدافعون عن انفسهم وبعد ذلك صدر الحكم باعدام أربعه . وجلد وسجن الباقين . ونفذ الحكم عليهم فى دنشواى وكانت المشنقه منصوبه على مسافه ثلاثين خطوه من الاجران ... وكان أهالي دنشواى ينظرون الي أهاليهم وأقاربهم وهم فوق آلة الاعدام أو تحت مجلدة الجلاد ...أهاجت هذه القسوة النفوس ولكن من الذى يمكنه أن يتقدم أو يتكلم . وهم يروا امامهم البوايس الانجليزى والمصرى .

وبعد ذلك تناولت الجرائد الوطنية . جريدة المؤيد واللواء وحملا بحملة شعواء على الاحتلال الانجليزى . . . نعم انهم وصموا انفسهم وصمة عار بهذا الحكم الفظيع . رأى اللورد كرومر ان حالة البلاد تدعوا الى زيادة الجيوش الانجليزية ولكن ساءت صحته فطلب اقالته من منصبه وتولى مكانه السر الدون غورست ... وبينما كان يسلم اللورد كرومر خلفه مقاليد الامور اوصاه بما يأتى

سيؤدى سعد زغلول اذا لم يخب ظني عملا سياسيا جليلا انه ممتع بجميع الفضائل اللازمه للاجادة فى خدمة بلاده انه فاضل متعلم شجاع فى معتقدى . انه سيبعد فى مداه وسرعان ماوصل هذا الخبر للجرائد الوطنية فحملت حملة شعواء على الزعيم الجليل وهم لا يعلمون ماتقوم به هذه النفس الكبيرة فى خدمة بلادها . . . انهم جهلوا ان سعد زغلول سيكون خصما عنيداً للاحتلال الانجليزى

الحزب الوطني

خرجت الامة المصرية من الثورة العرابية منهوكة القوى وانطفأت فى قلوب المصريين جذوة الوطنية . وخمدت نار الامل وخيم على الامة سكوت يشبه سكون الموت وذهب كل رجل الى عمله . وكانت انجلترة مبتهجة بما رأت من المصريين من الصمت وتاكدت ان وادي النيل اصبح من ضمن مستعمراتها . . . . . . ولكن قام الشاب مصطفي كامل والمصريون نيام . فاستنهض الهمم وقام ينادى ابناء جلدته أن يستيقظوا من هذا الثبات العميق ويذكروا وطنهم فاشعل جذوة الوطنية وادخل نور الامل بعد انطفائه . . وما زال بهم حتى انهضهم . وأحيي فيهم فكرة انقاذ الوطن من مخالب الانجليز فدخل تحت لوائه طائفة من المصريين والتفوا حوله وعاهدوه على انقاذ الوطن وتطهيره من الحكم الاجنبي وتكون الحزب الوطنى

ولم تكن الحقيقة فى استقالة اللورد كرومر المرض وانما

الحقيقة كانت من نتائج محاربة الشاب الوطني مصطفى كامل باشا ورجال حزبه . ولما وجد قوة هذا الحزب صارت ذات تيار شديد لا يستهان به أوعز الى رجال الامة بانشاء حزب يحارب الحزب الوطني وأطلق عليه (حزب الامة) وسرعان مافشل هذا الحزب وقويت شوكة الحزب الوطنى . وبهذا السبب استقال اللورد كرومر لانه كان يعتقد أن استعمار القطر المصرى سهلا سائغا . وسرعان ماذهب من يقينه هذا الاعتقاد . وحل مكانه اعتقاد راسخ ان المصريين قوة لا يستهان بها وفى امكانهم أن يعيدوا تاريخ وادى النيل السعيد .

وعند ماوجد الباب العالى أن محاربة الحزب الوطنى للانجليز قوة شديدة أنعم عليه برتبة الباشويه . وكان ذلك بايعا من الخديوى عباس حلمي لانه كان يبغض اللورد كرومر فوجد أمامه حزبا شديداً يحارب جميع مشاريع هذا اللورد الاستعمارية فكان يساعده خفية جاعلا جميع زيارات مصطفى كامل باشا للقصر الخديوى سراً مكتوما ولم تكن الجرائد تكتب عن هذه الزيارات المتواليه فى سراى الخديوى حذراً من الانجليز .. ولكن سرعان ماكانت الجواسيس توصل هذه الزيارات أولا باول الى قصر الدوباره حيث هناك يقيم المعتمد الانجليزى

وعند مااستقال وجاء خلفه السرالدون غورست قابل الحزب الوطنى بحرب شعواء وبالحقيقة ان الحزب الوطنى قام للوطن

بخدامات جليلة اذ قاد الامة الى ساحة الحرية ونهض بها الى معرفة حب الوطن اننا لا ننسى جريدة اللواء وما كان يخطه براعه من آيات الاخلاص للوطن العزيز . فاذا ذكرنا جريدة اللواء نذكر أيضاً جريدة العالم الاسلامى انه كان خير فرد انجبته الامة المصرية . وهو أول مصرى انشأ جريدتين (١) واحدة فرنساوية وأخرى انجليزية لينفث فيها روح الشعب المصرى ومطالبه . فكان بهاتين الجريدتين أعلم الغرب قبل الشرق عن مطالب الامة المصرية المشروعة ... وكيف ننسى موافقة انه ما كاد يعلم عن حادثة دنشواى الا وقام بمحاربة الاستعمار الانجليزى فى الغرب قبل الشرق اذ فضح نياتهم بهذه الحادثة ووقف العالم الغربى على هذا التوحش البربرى . . . انه شوه سمعة السياسة الانجليزية فى مشارق الارض ومغاربها .. انما لا ننسى ذلك . لاننا إذا نسينا ذلك لا يمكن لطيور وحمام دنشواى أن ينسى . لا يمكن لاطفال دنشواى ونسائها أن ينسوا . انهم عند سماعهم خبر موته بكوا كثيرا . واذا كانت الامة بكته بالدمع السخين فهؤلاء بكوه بالدم المدار ... مات مصطفى كامل باشا فى الرابعة والثلاثين من عمره فبكاه المشرقان والمغربان ورثته جميع جرائد الارض شرقها وغربها . وأقامت الامه المصرية المآتم فى كل مدينه وكل

---

(١) جريدة ليتندار الفرنساوية وجريدة ذى ايجبشين ستندار انجليزيه

مكان ولبست عليه ثياب الحداد ...ان يوم ١١ فبراير سنه ١٩٠٨ كان أشأم أيام السنه التى مرت بعد أيام دنشواى.. ان قاسم بك أمين قال فى مذكراته هذه هى المرة الثانيه التى رأيت فيها قلب مصر يخفق . والمرة الاولى كانت يوم تنفيذ حكم دنشواى . ظنت السياسه الانجليزيه ان موت مصطفى كامل موتا لحزبه . موتا لآمال الامه وسرعان ما اظهر غورست سروره وابتهاجه . واثبته فى تقريره الرسمى عند سنة ١٩٠٨ حيث قال ـ انه بعد وفاة مصطفى باشا كامل وقع الاحزاب فى الحزب الوطنى بسبب وقوع النزاع والشقاق بين اعضائه وخذلان كثيرين من انصاره . آه

ولكن خاب ظنه . وما كاد الانجليز يبتهجون ويؤسسون مالهم الاستعماريه حتى نهض الحزب المصرى ثانيه برياسه محمد بك فريد .فلأ كل الفراغ الذى تركه الفقيد... ابتدأ أول عمله بسياحه فى أوربا لنشر دعوة الحزب ثانيه .فأقام الحفلات لبسط القضيه المصرية على الناس وكان يوزع الكراسات و لمؤلفات بمختلف اللغات بغير مقابل وذلك من ماله الخاص فاثبت لانجلتره انها واهمه فى اغتباطها بموت سلفه مصطفى كامل باشا وأقام الدليل على أن علم الوطنيه المصريه محال أن يسقط

نعم ... نعم اذا مات بطل فالابطال كثيرون ولقد رأى الحزب الوطنى أن خير طريقه لايقاظ الامه المصريه دائما أبداً فاهتم بذكرى دنشواى . وذكرى وفاة مصطفى كامل وذكرى

الاحتلال الانجليزى فى يوم ١٤ سبتمبر سنه ١٨٨٢ وذكرى اتفاقية السودان فكان يعقد المؤتمرات ويجمع الناس ويخطب فيهم ويضرب لهـم الامثال عن الاستعمار الانجليزى . فاضطر المعتمد الانجليزى الى الاعتراف لدولته فى (سنه ١٩١٠) بان الحزب الوطنى قوة لايستهان بها حيث قال — (ان مجلس الشورى والجمعية العموميه أظهر في (سنه ١٩٠٩) وفى النصف الاول من (سنه ١٩١٠) ميلا متزايداً الى أن يكونوا آلة بيد الحزب الوطنى يستعملها فى تحريضه وتهييجه على الاحتلال الانجليزى فان طلبهما المتقرر لحكومه دستوريه تامه وحملاتهما المنكرة على الحكومه فيما يتعلق بالميزانيه والسودان والعداوة والريبة اللتين أظهراها فى مشروع قنال السويس وتجاوز فهما حد الاعتدال كانت كلها فى جوهرها مظاهرات ضد الانجليز . طوعاً لتحريض الحزب الوطنى ... وجاء فيه أيضا ـ فلا وزارة بطرس باشا . ولا وزارة محمد سعيد باشا استطاعتا أن تتوليا قيادة هذا المجلس حتى الآن أو ان ينشيا فيه حزبا للحكومة مع ان رجالهما مشهود لهم عند الجمهور بانهم من أعقل المصريين وأجدرهم . وكذلك البرنس حسين باشا قطع الامل وعدل عن السعى فى ادخال روح النظام والاعتدال الى المجلس فى مناقشاته لانه لما استعفى من رئاسة المجلس لم يكن من يقبل هذا المنصب الذى لا يعترف لنا فيه بفضل بل كان المصريون يرفضون واحداً بعد واحد ـ آه

نعم ان المصريين التفوا حول الحزب الوطنى واعتنقوا مبادء وشعر الانجليز فقاموا بسياسة وفاق وهى سياسة اتفاق العميد الانجليزى مع الخديوى عباس . فمن هذه السياسة كانت أول ما قامت هى احياء قانون المطبوعات وتطبيقه على جرائد الحزب الوطنى ... لم تكتف السياسة الانجليزيه بل أنشأت الاحزاب وجرائد لمناواة الحزب الوطنى فسرعان ما اتكشت هذه الاحزاب وهذه الجرائد أيضا وحزبهم الحزب الوطنى بيد من حديد وهى الوطنية ... اننا لا ننسى قيام الحزب الوطنى بطلب مجلس نيابى وأمضت الامه العرائض والمظاهرات الرهيبه التى كانت تقف فى طريق الخديوى صارخة برد الدستور حتى أخرجوا الانجليز وأعلن معتمدهم انهم لا يقفون فى وجه الدستور بشرط ان يأخذ رأيهم فى نصوصه ... فكان رد رئيس الحزب محمد بك فريد رد فخر لمصر والمصريين اذ قال فى خطبة بليغة . نحن لا نطلب المجلس النيابى من انجلتره بل نطلبه من حاكم البلاد الشرعي .. وفى الحقيقه انه كان حزبا لا شك فيه قام بخدمة مصر والمصريين خدمة جليلة تكتب له بماء الذهب انه لولا وجود الخونه من الامه المصرية لكانت مصر نالت فى عهده الاستقلال ولكن ان الله سبحانه وتعالى . ابتلا الامة من أمثال هؤلاء الخونة الذين يبتهجون بتسطير آيات الذل على امتهم ولا يهتمون لشيء ماداموا هم فى نعمه وافرة تغدق عليهم من المستعمرين .. نعم انه لا يمكن لاى دولة

ما تكن قويه ان تستعمر بلاداً بدون مساعدة أبنائها. ولهذا ارتكنت انجلتره فى استعمار بلادنا بمساعدة من قبل الذل على بلاده فى سبيل دراهم معدودات

اغتيال بطرس باشا

اشتدت الحركة الوطنيه وظهرت بتشجيعها جمعية تركيا الفتاة فى الاستانة فالقت بذور البغضاء للانجليز فى جميع طبقات الامة فقام شاب فقتل رئيس الوزارة بطرس باشا غالى وهو (ابراهيم ناصف الورداني) وكان هذا أول قتل سياسى فى مصر اذ كان يعتقد أن بطرس باشا يساعد الانجليز . وعند القبض عليه أخذ الحزب الوطنى على نفسه أن يقوم بمصاريف القضية . وكانت أفراد الامه تنادى انه شهيد الوطنيه . ولكن صدر عليه الحكم بالاعدام وبعد ذلك مات السير الدون غورست وتولى مكانه اللورد كتشنر وبعد ذلك انقسم الحزب الوطني الى قسمين حزب الامه واعضاؤه من المعتدلين والحزب الوطني واعضاؤه من المتطرفين غير ان اللورد كتشنر كانه يبغض الخديوى فلم يبق معه من العلائق غير ما كان ضروريا. ووجد اللورد كتشنر أن حركة الحزب الوطنى اصبحت قوة شديدة فاتفق مع الخديوى على اصدار القانون النظامى والقانون الانتخابى وبذلك تألفت الجمعية التشريعية ولكن فى حد محدود

وهنا ظهرت مقدره سعد باشا اذ انتخبته الامة المصرية

نائباً عنها بالاجماع فكان يقف فى الجمعية التشريعية ويحارب كل من يريد العبث بحقوق الوطن ولكن جميع معارضات رجال الجمعية التشريعية كانت فى حدود القانون والذى لا نشك فيه أن الخديوى عباس حلمى كان ناقما على سعد باشا زغلول كما أن اللورد كتشنر ناقما على الخديوى عباس حلمى فكان يرسل التقارير ضد الخديوى ويتهمه بالاتجار بالرتب والنياشين واتهمه أيضا بالرغبه فى بيع سكة حديد مربوط لبنك روما الذى كان يشترى لحساب الحكومه الالمانيه . واتهمه أيضا بتبديد أموال الوقف لم يستطع الخديوى عباس الدفاع عن نفسه لانه لم يقف أمام قضاة ماهرو لكن سافر اللورد كتشنر فى صيف سنه ١٩١٤ وكان فى نيته اتخاذ اجراآت ضد الخديوى ظلما وعدوانا . وكان يقصد بذلك خلعه اذا اقتضت الحالة وكذلك كان عباس حلمي فى استامبول فى ذلك الحين فاعتدي عليه اثيم وكان موعزاً اليه من الحكومة التركية لانه عند ما اطلق على الخديوى المسدس كان خلفه رجال الشرطة التركية الذين افرغوا رصاصهم على الجانى خوفا من افتضاح امرهم ولا يزال سر هذا الحادث مستورا غامضا الى الآن

فكان لسفر الخديوى مسافرا فى مأمورية سياسيه اكثر ما تكون عاديه لانه كان يعلم نيات اللورد كتشنر نحوه فاتجهت أماله نحو الدول التى كانت تواعده باستقلال بلاده ولكن ساء ظنهم وذهب تدبيرهم أدراج الرياح لان الله سبحانه وتعالى هو الذى يعلم السر وأخفى . اذ بينما اللورد كتشنر فى ١٤ أغسطس

سنة ١٩١٤ فى لندن يدبر تدابيره ضد الخديوى وبينما عباس حلمى فى الاستانة يبحث عن اليد المساعدة له فوجىء العالم باعلان الحرب العالمية الكبرى ـ بين بريطانيا العظمى وألمانيا

أولا ـ وكان الذى يقوم باعمال الخديوى فى مصر رئيس الوزارة حسين رشدى باشا ونال حسب التقاليد قائما مقـام الخديوى . وكان الذى يقوم مقام المعتمد الانجليزى اللورد كتشنر المستر شيتهام مستشار السفارة

فلم يقبل عباس حلمي العودة الى مصر وقبل أن يبقي فى الاستانة ولكن بوغت باعلان تركيا الحرب ضد انجلترا فبهذه الحرب تغير موقف مصر التابعة للباب العالى

وفى يوم ١٨ ديسمبر سنه ١٩١٤ أعلن رسمياً ان سكرتارية جلالة ملك بريطانيا تعلن أن سيادة تركيا على مصر بطلت وحلت مكانها الحماية الانجليزية التى بموجبها تحمى انجلترا الاهالى من كل أعتداء

وفى يوم ١٩ منه نشر بلاغ آخر بخلع الخديوى عباس حلمى باشا لانضمامه الى أعداء ملك بريطانيه واعلن ان عرشه قدم الى عمو عمه البرنس حسين كامل باشا ويلقب بلقب سلطان مصر ـ وان أنجلترا ستأخذ على عاتقها القيام باعباء الحرب ولا تطلب مساعدة من القطر المصرى . ومن هذا الوقت تغير لقب الوكيل الانجليزى السياسى أو القنصل جنرال ولقب باسم المندوب

سامى ويكون وسيطا بين عظمة سلطان مصر وبين الدولة الانجليزية ومتى وضعت الحرب اوزارها ستتخذ انجلترة الاجرآت اللازمة لالغاء المحاكم المختلطة والامتيازات الاجنبية ورقابة صندوق الدين . وبدون إستشارة الامة تغير نظام ازمة مصر كأن البلاد بلادهم

وبعد ذلك أعلنت الاحكام العرفيه . وتعين اللورد كتشنر وزيراً للحرب وتعين مكانه السر هنرى مكماهون وهو أول من لقب بلقب المندوب السامى . . . . وبقى جماعة المصريين الوطنيين فى مكانهم ولم يحرك أحد منهم ساكنا . ان انجلترا اعلنت أولا . أنها ستحمل وحدها بدون مساعدة مصر اعباء الحرب ولكنها عاملت مصر معاملة بلاد فتحت بالحرب اذا استخدمت الرجال من الجمالين والعمال وكثر عدد المتطوعين أولا كان بدون أكراه

وثانيا جمع بالقوة . وكانوا يأتون بهم يحاط بهم سياج من الجند كانهم مسجونون ثم بعد ذلك جمعت الغلال باسعار أقل من السوق وتموا بالاكتتاب للصليب الاحمر . اننا نعلم ان الاكتتاب يكون دائما برضاء الافراد ولكن ذلك بالقوة اذ كانوا يقدموا المدير مايروا تحصيله من المدن والقرى فى الاقسام والمراكز يضرب المأمور والعمد الضريبة على الاهالى ويحصلها بالقوة فكان التجنيد والسخرة والاكتتاب للصليب الاحمر كلها تجرى باسم الحكومة الانجليزية .

وفى ١ كتوبر سنة ١٩١٧ فرجئت البلاد بخبر موت السلطان حسين وبناء على النظام الوراثي أعلنت أنجلترة تولية الامير احمد فؤاد سلطانا على مصر

وفى هذه الاثناء تعين السردار السر ريجينولد ونجت حاكم السودان مندوبا ساميا بمصر مكان السر هنرى مكماهون ـ فكانت تولية السلطان فؤاد الاول بمصر رخاء على العالم باجمعه اذ مامضى عاما الا ووضعت الحرب أوزارها واستراح العالم من شرورها . فكان السلطان فؤاد سعيداً على الشرق والغرب . لان مصر ما نالت حظا وافراً فى استقلالها مثل مانالته فى عهده السعيد

الثورة المصرية

ما كادت الحرب العالمية الكبرى تضع أوزارها وما كاد الدكتور ولسون يعلن مبادئه الاربعة عشر المعروفة وهى تقرير مصير الامم الضعيفة وبعد التوقيع على شروط الهدنة بيومين أى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ قصد سعد باشا زغلول . وعلى باشا شعراوى . وعبد العزيز بك فهمى دار المندوب السامى وطلبوا مقابلته باسم الشعب المصرى الذين هم يعبرون عن رأيه . نعم . ان سعد باشا زغلول كان له الحق فى هذا الطلب لانه بصفته الوكيل المنتخب من الامة فى الجمعية التشريعية فله الحق أن يتكلم باسم الامة واما رفاقه فانهم أعضاء فى الجمعية التشريعية فسألهم السر ريجالند ونجت عن مطالبهم فقالوا له اننا نطالب الغاء الحمايه

و لاعتراف باستقلال مصر التام فحادثهم أحاديث وديه واعترف في أحاديثه الغير رسمية ان المصريين ساروا أثناء الحرب مع الحلفاء جنباً لجنب ولم يبد منهم ما يعرقل عمل الحلفاء . وانه سوف يخابر حكومته عن مطالبهم المشروعه

عاد سعد زغلول بعد أيام الى دار المندوب السامى وطلب منه أن يرخص له ولزملائه بالسفر الى لندن ليعرضوا على الشعب الانجليزى المسألة المصرية ـ انها كانت حركة مباركة لولا حصول الانشقاق اذ قدم طلباً أيضاً حسين رشدى باشا رئيس الوزارة أن يسافر عدلى باشا يكن الى لندن ليعرض على الوزارة البريطانية مشروع نظام صادق عليه عظمة سلطان مصر (احمد فؤاد الاول) فوعدهم انه سيخابر حكومته بذلك

وعلى ذلك قدم الطلبين الى حكومة بلاده مع توصية منه لانه مطلع مجريات الحوادث المصرية . ولكن رئيس الوزارة الانجليزية المستر لويد جورج الذى خرج من الحرب العالمية ظافراً انهمك فى مؤتمرات الصلح ولم يهتم لهذين المطلبين العادلين . فكان الجواب جافا اذ رفضها . وعند ماعلم دولة رشدى باشا بذلك قدم استقالته . وحاول المندوب السامى حمله على سحبها باقناعه أن زيارته الى لندن لم ترفض ولكنها أجلت الى زمن قريب

وأما سعد زغلول باشا اكتفى دار المندوب السامى بابلاغه الرد من سكرتيره ـ فكانت هذه المعاملة الخشنة جعلت سعد باشا يقف أمامهم وقفة أسد

اضطربت الخارجية الانجليزية لاستقالة الوزارة المصرية وفى

أثناء هذه المطلة الحكومية تلقى وزراء الدول بلاغاً بتأليف الوفد المصرى برئاسة سعدزغلولباشاوفىيوم ٣مارسسنة١٩١٩ ذهب الوفد المصرى وقدم لعظمة سلطان مصر عريضة عن مطالب رعاياه

ففى يوم ٦ مارس استدعى الجنرالوطسن سعد زغلول باشا وتسعة من كبار الوفد المصرى وأنذرهم انه بيده الاحكام العرفية وأتهمهم باثارة الرأى العام ضد النظام ... فى اليوم الثانى من هذه المقابلة نشر الوفد احتجاجا على تهديد القائد وطسن فعدت السلطة العسكرية هذا الاحتجاج اعتداء عليها . ولم يمض يوما واحدا اعنى يوم ٨ مارس حتى صدرت أوامر دار المندوب السامى بالقاء القبض على سعد زغلول باشا ومحمد باشا الباسل واسماعيل صدقي باشا ومحمد محمود باشا ـ وسرعان ماأقلتهم باخرة حربية الى مالطة

وما كانت الامة تعلم هذا الخبر الظالم الا وأضربت جميع طلبة المدارس والازهر وقاموا بمظاهرات مروا بها فى الاحياء الاربادية أولا والى دواوين الوزارات ثانيا والاحياء الاهلية يذيعون هذا الخبرالمشؤم وقدحطموافىطريقهمزجاجالفوانيس والترام وأصبحت المدينة فى ظلام دامس

لم يجد دار المندوب السامى مايعتمد عليه فى اخماد الاضراب خلاف الشرطة والجيش ـ فحصلت مناوشات بين الجيش والشعب المصرى ـ وفى يوم ١١ مارس اضرب الموظفون

والمحامون والقضاة الاهليين واجتمعوا فى دارسعد زغلول باشا وكان يستقبلهم على باشا شعراوى باسم الوفد — واعلنت حرم زغلول باشا أن منزلها من الآن سيدعى بيت الامة لم تنقطع المظاهرات مدة ثلاثة أيام متوالية فى القاهرة وسرعان ما وصل هذا الخبر الى المديريات

ففى دمنهور والزقازيق والمنصورة كانت الاضرابات جديه ولكنها تحولت الى ثورة . وهدد الجنود الذين كانوا يحتلون المحطة باعتصامهم فاطلقوا النار على الجمهور فقتل خمسة عشر وجرح خمسين أما الاسكندرية فقامت عليها مظاهرات شديدة وفى ١٤ مارس هاجمت داورية جماعة المتظاهرين فى الازهر فقتل وجرح أربعين من المتظاهرين — ثم امتدت المظاهرات بعد ذلك الى السكك الحديديه فخلعوها . ثم زحف بدو الواحة الغربيه على وادى النيل والفيوم — وفى أسيوط كان الموقف حرجاً جدا . واشتعلت نيران الحرائق فى أكثر مدن القطر المصرى . وما وصلت الاخبار الى لندن الا وفى الحال أرسل الفيلد مارشال اللنبي قائد القوات الحربية فى مصر وسوريا الى القطر المصرى وكان موجودا فى ذاك الوقت فى باريس لحضور مؤتمر الحلفاء ومنحه جلالة ملك بريطانيا رتبة فيلد مارشال ولقب فيكونت وأعطي له السلطة حربية ومدنية ليفعل مايشاء لاعادة النظام فى القطر المصرى . فاول ما فعل أخلى سبيل المتعقلين وعلى ذلك أبيح لسعد زغلول ورفاقه السفر الى أوربا . وقبل رشدى باشا العودة

الى تأليف الوزارة وعاد الحال الى النظام .. ولكن كثرت الاعتداءات على الموظفين الانجليز وقام سعد يذيع فى أوربا مطالب المصريين المشروعة ولما وجدت انجلترة أنها أمام شعب لا يمكن أن يتنازل عن استقلال بلاده أرسلت (لجنة ملنر) فعند وصولهم فى ديسمبر سنه ١٩١٩ نزلوا فى فندق سميراميس فوجدوا أن الشعب المصرى قاطعهم على بكرة أبيه فتأكدوا أن الامــة لا تتفق معهم وانما هى موكلة الوفد المصرى للاتفـاق واعطتـه السلطه الكافية فى كل ما يراه فى مصلحه البلاد وانضم الامراء الى الحركة الوطنية فكانت لهم بد يشكروا عليهـا فوجهوا خطـابا الى اللورد ملنر يعلنون انضمامهـم الى الامه المصرية ويبدون رغبتهم في العمل على تحرير مصر وكانت فى نوفمبر سنه ١٩١٩ استقالات وزارة محمد سعيد باشا . وبعد جهد جهيد قبل يوسف وهبه باشا تأليف الوزارة

وبعد ذلك كانت الاضرابات فى صدور الامه المصريه وسقطت وزارة يوسف وهبه باشا وتألفت رزارة توفيق نسيم باشا وفى أول مارس غادرت بعثه ملنر مصر

وفى هذه الاثناء كان صاحب الدولة عدلى باشا يكن فى باريس يتفاوض مع سعد باشا لاجل قبول مفاوضة بعثه ملنر . فقصد سعد باشا مع أعضاء الوفد الى لندن وبدأت المفاوضات الشبيهة بالرسميه واستمرت ثلاثه أشهر وأخيرا عقدوا عقد اتفاق باسم (اتفاق ملنر) .. انه لم يكن اتفـاقا رسميا بل كان مشروعاً ليعرض على الامتين المصريه والانجليزيه . وكان اللورد ملنر فى

استعداد تام أن ينصح حكومته لقبول هذا المشروع اذا قبله سعد باشا . فابى سعد باشا قبوله فقال انني موكل عن الامه ولا يمكنني الاتفاق على شيء الا بعد عرضه على الامه المصريه فعرض المشروع على الامه فرفضته بعد أن استقبلت اعضاء الوفد استقبالا حسنا . واذاع الامراء فى الصحف منشورا بأنهم لا يقبلون الا معاهده تعترف باستقلال مصر التام بغير قيد ولا شرط . وعاد المندبون الى زعيمهم سعد زغلول باشا فى لندن لاستئناف المفاوضات مع بعثه ملنر . فكانت هذه المفاوضات فشلت لان انجلترة لا تريد أن تعطى ولا تأخذ

وعاد عدلى باشا وألف وزارة ببرنامج وطنى اظهر فيه أنه لم يقبل الوزارة الا على أساس اتفاق الحكومه مع الوفد المصرى ويقوم الوفد المصرى بمفاوضة رسمية مع الحكومة الانجليزيه فقابلت الامه هذه الوزارة بالفرح كما قابلها سعد زغلول بالفرح والسرور وتأكد أنها سوف تكون فاتحه خير لمصر والمصريين فقرر العودة الى مصر . وماكاد يعود الى مصر الاوقوبل بمقابلة ما قوبل أحد مثلها . نهض لمقابلته اكثر من ثلثمائه الف اصطفوا من المحطة الى بيت الامه حيث امتنع المرور . ولا أمكن لاحد أن يمر خلافه هو واعضاء الوفد بخلاف المقابلة التى قوبل بها فى الاسكندريه وفى جميع بلاد الوجه البحرى اذا اشترك النساء . وكانت أصواتهن تصل الى عنان السماء يكفى بنات مصر فخراً انهن اشتركن قبل ذلك فى أيام الاضرابات الدامية أيام مارس وابريل اذكن يقابلن الرصاص بصدورهن

١٢

وفى هذه الاثناء فوجئت البلاد بوفاة خادم الوطن محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى ى منفاه غريبا

المفاوضات الرسميه (١)

عادت الوزارة الى العمل لتأليف وفد رسمى ولكن لم يتفق سعد زغلول باشا مع عدلى باشا فى مسألة الرئاسة فعدلى باشا قرر أنه يكون هو الرئيس بصفته رئيسا للحكومة وسعد باشا قرر أنه يكون هو الرئيس لانه رئيس الامة فحصل شقاق أدى إلى انقسام. وسافر الوفد الرسمى برياسة عدلى باشا . وقامت مظاهرات شديدة بمناسبة سفر عدلى باشا للمفاوضة . وما كاد يصل الوفد إلى لندن حتى فوجىء من اللورد كيرزون بمشروع اتفاقه وخيرهم اما قبوله أو عدمه دون تعديل . وكان هذا المشروع أقل من مشروع ملنر الذي رفضته الامة . وعلى ذلك رفضه عدلى باشا وعاد الى مصر وقدم إلى عظمة السلطان استقالة الوزارة. وقامت الامة عند ماعلمت بمشروع كيرزون. والمذكرة التفسيرية أعلنت فى ٨ ديسمبر أن الوزارة التى تقبل العمل الآن تطعن قلب الوطن بخنجر . وأعلن الوفد أنه سيعقد اجتماعا في يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ فى نادى سميراميس بمناسبة الحالة الحاضرة . فمنع البوليس الاجتماع وأصدر الفيلد مارشال اللنبي بلاغا الى أعضاء الوفد كما أرسل بلاغا آخر إلى سعد زغلول باشا أن يكف الجميع عن الاشتغال بالسياسة ولما لم يقبلوا القى القبض على سعد باشا وثلاثة من رفقائه وأودعهم فى قصر النيل ومنه الى السويس ومنها الى سيشل . فحصل هياج ومظاهرات وخرجت الجنود الانجليزية والمصرية

بالسيارات مسلحة فهدأت الحالة . وكانت الاحتجاجات ترسل من عظماء الامة ووجهائها الى دار المندوب السامى وفى . وفى الحال تألف وفداً ثانيا برئاسة حمد باشا الباسل وقرر أنه لا يقصد أى وزارة تتألف وتنظمت لجنة لمقاطعة البضائع الانجليزية .. وما كاد الوفد يصدر فى ٢٤ يناير سنة ١٩٢١ منشوراً يشير فيه على الامة بمقاطعة البضائع الانجليزية الا وعطلت الجرائد التى نشرته والقوا القبض على الذين وقعوه من أعضاء الوفد . ولما قدموا للمحاكمة حكم عليهم بالاعدام فقبلوا الحكم بوجه باش وصدر رحب وقالوا بصوت واحد لتحيي مصر . وأبدل الحكم بسبع سنوات وغرامه ماليه وباتت الجرائد معطلة خمسة أيام

فتألف الوفد ثانيا تحت رئاسة المصرى بك السعدى فاعتقل أيضا كما أنه صار كل من يجاهر بوطنيته أو يذكر سعداً يصير القبض عليه . وسرعان ماقام حسن حسيب باشا بتأليف الوفد للمرة الثالثه وكانت حوادث الاعتداء على الانجليز والوزارة متواليه وبقيت البلاد بلا وزارة مدة ثلاثة اشهر . ولم تنحل هذه الازمه الا فى يوم ٣١ يناير سنة ١٩٢٢ بخبر نشر فى جريدتى الاخبار والجورنال دى كيروفيهما بيانا من صاحب الدولة ثروت باشا الذى أفضى به الفيلد مارشال اللنبي بتأليف الوزارة . وتقدم الى الامه ببرنامج يتلخص فى احدى عشر بنداً فيه ا الحمايه وانشاء وزارات خارجية وبرلمان مصري يراقب اعمال ا ...ة

وجعل آراء المستشارين الانجليز استشارية فقط والغاء الاحكام العرفيه . واطلاق سراح المعتقلين السياسيين ومتى تألف البرلمان المصري تبدأ المفاوضات الرسميه . وفى غدة اعلان ثروت باشا شاع الخبر بورود تلغراف من لندن يدعو اللورد النبى الى لندن ليتقدم بيانا وافيا عن حالة مصر. وبذلك تألفت الوزارة وسافر اللورد النبى الى لندن . وبعد ذلك عاد اللورد النبى الى مصر وقدم تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ م لعظمة السلطان وكان به اعتراف انجلتره باستقلال مصر . ويلقب عظمة السلطان بجلالة ملك مصر . وبهذا التصريح انتهت الحمايه. وأصدر عظمة السلطان قراراً أعلن به أنه قد صارت مصر حكومه مستقلة . وأنه اتخذ لنفسه لقب ملك وفى ذات الوقت وجه جلالة الملك فؤاد الاول رسالة شكر بها الله عز وجل وحيا المطلع السعيد لتاريخ مجيد يعيد الى مصر مجدها القديم

وما كاد ينشر هذا النداء حتى قابلته الامه بسرور لا مزيد عليه وتزينت البلاد وأطلقت المدافع

وبينما وزارة ثروت باشا قائمه بوضع مشروع الدستور فوجئت الامه بخبر سقوطها بعد أن قضت فى الحكم سبعة اشهر ذاقت فيها الامه أصناف العذاب . اذ كان هو الوزير الوحيد الذى لم يح[illegible] عتقال ابناء وطنه . وسرعان ما تألمت وزارة توفيق نس[illegible] بتأليفها خففت حركة لاضطهاد عن الوطنيين والاعتداء

على الانجليز . فاراد صاحب الدولة توفيق نسيم باشا الذى يستحق تقدير الوطن كما قال عنه فقيد الامه سعد باشا أن يصدر الدستور وفيه نص صريح بأثبات السودان جزء من مصر لايتجزأ وان يلقب جلالة ملك مصر بملك مصر والسودان فاحتج الانجلير على ذلك فاضطر لتقديم استقالته . وتألفت وزارة يحيي باشا ابراهيم هذه الوزارة المشهورة التى لقيتها الامه بوزاره القوانين اذ كانت طوع الانجلير فى كل مطالبهم

فاصدرت قانون الدستور سنه ١٩٢٣ وهنا كانت انجلتره قد اقتنعت بانه لا فائدة من ابعاد سعد وصحبه ففتحت المعتقلات واخرجت منها أبطال الامة المصريه الذين قبلوا الاهانه والعذاب فى سبيل الوطن وأفرجت عن سعد وزملائه فعادوا فى تلك السنه الى مصر وقوبلوا مقابلة جليلة واستمرت وزارة يحيي باشا حتى تمت الانتخابات لمجلس النواب وأحرز السعديون أغلبية ساحقة وصرح سعد باشا أنه يجب على صاحب الدوله يحيي باشا براهيم أن يقدم استقالته فاضطر الى تقديم الاستقاله

الوزارة السعدية

بعد أن استقالت وزارة يحيي باشا ابراهيم أمر جلالة الملك سعد باشا بتأليف الوزاره ـ وكانت الامة فى ذاك الحين منقسمة على رأيين رأى يحبذ قبول سعد باشا الوزاره . الثاني يحتم بعدم قبولها على أن فريق الرأى الاول تغلب فقبل الزعيم الجليل وشكل الوزارة بطريقة غير مألوفة فى مصر . ولكنها مألوفة فى البلاد الاجنبية الدستورية . انه هو الزعيم الاول الذى ادخل فى سلك الوزارة المحامى الشاب . والافندى الذى لم ينل رتبة . ولم يشغل وظيفة من قبل فاعطي الامة المصرية درسا واضحا فى الدمقراطيه وسلطة الامه . وبدأ باجراء انتخابات لمجلس الشيوخ . ثم فتتح البرلمان باحتفال فخم فى سنة ١٩٢٤ م ومضى في طريقه يحقق سلطة الامه فى الحكم الدستورى والاستقلال فى ادارة الامور واندحرت السلطة الانجليزية . وكانت الكلمة العليا في الدواوين للمصريين . وتداخل مع الانجليز حتى استطاع أن يفرج عن جميع المسجونين السياسيين . . .

وبينما كان سعد باشا مسافراً الى الاسكندرية لتقديم فروض التهاني بالعيد الاكبر لجلالة الملك فاجأه مجرم أثيم فاطلق عليه مسدسه وسرعان ما قبض عليه واتضح أنه مختبل في عقله . وبعد ذلك نقل سعد باشا الى المستشفى وانخلعت الامه من جراء هذا

الخبر المحزم وتقاطرت الوفود من جميع الطبقات الى المستشفي
وفى هذه السنة سافر سعد باشا الى لندن للمفاوضة مع الحكومه الانجليزية . وكان رئيس الوزارة اذ ذاك المستر مكدونالد رئيس العمال . ولكنهما لم يتفقا . فعاد سعد باشا الى مصر محافظا على حقوق أمته

وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٤ وقعت حادثة السردار المشؤمة حيث اعتدى عليه جماعة من أشرر الامة أمام وزارة المعارف العموميه بشارع الطرقه الغربى فاطلقوا عليه مسدساتهم فاصيب باصابات خطرة قضت على حياته بعد ثلاثة ايام . .

وسرعان ما أرسل دار المندوب السامى الى الوزارة السعديه انذاراً ذا مطالب مجحفه بحقوق الامه .

نعم فى هذه المطالب اظهرت الحكومه الانجليزية نواياها بجرح كل وطنى فى الوزارة اذ ضمنت فى انذارها من المطالب أن الحكومه المصريه تدفع نصف مليون من الجنيهات . وأن تمنع المظاهرات واحترام سلطه المستشارين الانجليز فى الحقانيه والماليه ومدير الامن العام فى الداخليه . وزيادة المساحه المصرح بريها فى السودان . واخراج القوة المصريه من السودان

فسلمت الوزاره بالمطلبين الاولين ورفضت باقى المطالب فارسلت دار المندوب السامى تعلن تمسكها بمطالبها وباحتلال الجمارك كضمانة للنصف مليون . ولكن الوزارة كانت قد ارسلت تحويلا على البنك الاهلى بهذا المبلغ . . وعندذلك وجد صاحب

الدولة سعد باشا أن الموقف حرج و يجب تقديم الاستقاله فيكون بذلك خير وأبقى من وجوده فى الحكم . فقدم استقالته الى جلاله الملك فلم يقبلها فالح سعد باشا فى قبولها حتى قبلت . وعرض جلالة الملك الامر على رئيس مجلس الشيوخ احمد زيور باشا فشكل الوزارة الزيوريه . وكان أول عمل قامت به التسليم بالمطالب الانجليزيه بعد أن اوقفت مجلس النواب شهرا . وما كاد يمر الشهر حتى نالت مرسوما ملكيا بحله ثم أجرت انتخابات استعملت فيها كل سلطتها اذ كانت قد هيأت حزب الاتحاد لمناضله الاحزاب ولم يكن صاحب الدولة أحمد زيور باشا هو الذى يدير دفة الحكم وانما كانت يد هناك تلعب فى الخفاء وهى التى توحي اليه الاوامر والتعليمات ولم يكن يعمل عملا الا باستشارة صاحب هذه اليد . وهو حسن نشأت باشا صاحب التاريخ المشهور بينه وبين الامة

ورغم هذه الشدة . ورغم قسوة الوزاره مع المنتخبين ورغم تبذير المال على المندوبين الثلاثيين نال الحزب السعدى الاغلبيه فائقه . ولما أخذ مجلس النواب فى انتخاب الرئيس له وقع الانتخاب على حضره صاحب الدولة سعد باشا وبينما كان المجلس فى ساعة انعقاده فوجىء بحل البرلمان للمرة الثانيه . ثم أن الوزارة رغم ذلك كانت لجنة عهدت اليها بتغيير قانون الانتخابات . ولما كانت الوزاره الزيورية غير دستوريه لأنها لم تمثل حزبا من الاحزاب له الاغلبيه البرلمانيه . وعلى أثر صدور القانون الجديد للانتخابات

رأى زعماء البلاد أن الدستور في خطر وانه يجب عليهم ان يتحدوا جميعا للعمل يداً واحده اذ تعطلت الحياه النيابيه سنة ونصف . وفى خلال هذه المده قد استبدل المندوب السامى اللورد اللنبى يخلفه اللورد جورج لويد . وكانت وزارة زيور باشا التى كانت تريد القضاء على الحركة الوطنيه وضعت قانونا يجعل الهيئات السياسية تحت رحمة الحكومة تحل ماتشاء وتبقى ماتشاء ولكنها ما كادت تعمل ذلك الا وفاجأها الكاتب القدير المرحوم أمين بك الرافعى بمقالة أثبت بها قانونا ان البرلمان لم ينحل وواجب على نواب الامة ان يعقدوا الاجتماع فى دار البرلمان واذ منعتهم القوة فأمامهم أى مكان يجتمعوا فيه ويؤلفوا مجلس النواب من الاعضاء الذين اقتت الحكومة بحلهم . . . وما كادت نواب الامة تقرأ هذا النبأ الا وجدوا أنها حقيقة ناصعة الا وائتلفت الاحزاب على أختلاف آرائهم السياسية . والذى ساعد على الائتلاف هو أنه بأسباب مسألة دينية وهى مسألة كتاب الخلافه وأصول الحكم الذى أصدره الشيخ على عبد الرازق وهنا حصل شقاق بين الوزارة الاتحاديه والاحرار الدستوريين . وبهذه المناسبة قدم وزراء الاحرار الدستوريين استقالتهم من الوزارة ومن هنا حصل التشاحن والمغضاء بين حزب الاتحاد والاحرار الدستوريين فكان هذا السبب من الاسباب القوية التى جعلت الاحزاب تأتلف وتنضم تحت لواء سعد باشا . وفعلا أنعقد الاجتماع الوطنى فى الفندق

الذى ينزل فيه زيور باشا وهو (الكونتينتال)وسرعان ماتصالحت الاحزاب الثلاثه الوفد المصرى . والحزب الوطنى . والاحرار الدستوريين . واجمعوا على مقاطعة قانون الانتخابات الجديد وعدم تنفيذه . فتقهقرت الوزارة أمام هذا المجتمع.واضطرت الى سحب هذا القانون والغائه واصدر جلاله الملك قانون الانتخابات الدستوري الذى سنه سعد والبرلمان فى سنه ١٩٢٤ . وجرت الانتخابات على أساسه المتين

وفى يوم السبت ٢٢ مايو سنه ١٩٢٦ ظهرت النتيجة متبينة بان الاغلبية العظمى بجانب السعديين

* * *

وكان فى الوقت الذى قتل فيه حاكم السودان السر لستاك قبض على سبعة أشخاص من المصريين بصفتهم متهمين فى هذه الجريمة بينهما رجلان من عظماء الامه وأكبر من قاموا بخدمة الوطنية هما الدكتور احمد ماهر بك وزير المعارف فى الوزارة السعديه . والاستاذ محمود فهمي النقراشى بك . وكيل وزارة الداخلية . وكان قد تحرر يوم الثلاثاء ٢٦ مايو سنة ١٩٢٦ للنطق بالحكم . وفى هذا اليوم صدر الحكم ببراءتهم فتضاعف السرور وأصبحت الامة تترقب تأليف الوزارة الدستوريه وافتتاح البرلمان . وكانت المفاوضات جارية حول من يؤلف الوزارة الجديدة . وانتهت بان عهد جلالة الملك الى صاحب الدوله عدلى باشا بتأليفها ـ وقام بتأليفها بعد أن استشار سعـد باشا

ورشدى باشا

وفى أوائل يونيو سنة ١٩٢٦ م أفتتح البرلمان وانتخب سعد باشا رئيساً لمجلس النواب . وتابع المجلس جلساته بهمة ونشاط متيقظا الى مجريات الامور حتى فوجئت البلاد بخبر استقالة عدلى باشا

وسرعان ماقام صاحب الدولة عبدالخالق ثروت باشا بتأليفها وبعد ذلك قام جلالة الملك بسياحه الى اوربا فكانت هذه السياحة التى تكللت بالنجاح خير اعلان عن مصر والمصريين

وبينما كان جلالة الملك فى سياحته فوجئت البلاد بوفاة زعيمة الاكبر سعد باشا زغلول

فهلفت القلوب على هذا المصاب الجلل . وحزنت الامة على بكرة أبيها

وخير عزاء تقدمه للامه المصريه هذا المقال الذى خطه يراع الكاتبة الثائرة زينب محمد صاحبة مذكرات وصيفه التى قامت بخدمة الفضيلة خير قيام . كما أنها حاربت كل منهمك فى الرزيلة وفضحته على صفحات مذكراتها القيمة التى صدرت تباعا فى أعداد أسبوعية تحت عنوان (مذكرات وصيفه مصريه)

سعد

نزلت بمصر الفاجعة الكبرى اذ حكم القضاء الذى لامرد له فاختطفت المنيه رعيم مصر الاوحد فى الساعة العاشرة من مساء يوم الثلاث ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ ميلاديه وما اختطفته الامن بين أعين الشعب وما انتشلته الامن بين قلوب أربعة عشرمليونا من الانفس . أن الفقيد لم يكن فرداً عادياً . ولا هومصرى من بين المصريين . وأنما هو مصر برمتها . بل هو الوطن بأجمعه اذا بحثت في نفسية الفقيد لاخرجت منها برمز الحريه رمز الوطنيه والاستقلال ان جزن الامه لاينتهي أبدا . وكيف ينتهي حزنها على هذا البطل الذى تغلب على حكم الاستبداد ووضع مكانه سلطة الامة وجعلها المرجع الاعلا . ان التعازى لم تكن لآله وانما هي للامة والوطن بأزره

الآن يبكيك المصريون فى مصر والسوريون فى سوريا . والطرابلسيون والتونسيون والمقاربة فى شمال أفريقيا والغرب في جزيرتهم . وكل شعب فى الشرق والغرب يجاهد فى سبيل بلاده وكيف لا يبكونك يا سعدا انك كنت الحامي لهم وكنت خير أب وملجأ لكل فار من وجه ظلم المستعمرين فكانوا يجدون منك عطفا وصدراً رحباً ورغم كل ذلك كان هو الامام والموشد لكل مطالب الاستقلال بلاده . فكانوا يفعلون مايفعل سعد . ان أيامك أيها الزعيم كانت أيام بارزة فى التاريخ . وستبقى الى الابد . وستسجل على صفحات

الزمن ليراجعها الاجيال تلو الاجيال . لولا سعد ما كانت مصر مصر قامت قومتها ولا تمتعت بالاستقلال انك ياسعد الذى ولدت الوطنية . انك قدمت خدمة لبلادك لم يستطع أحد ان يقدمها وهى جمع شمل العنصرين المسلمين والاقباط وصيرتهما بحكمتك إخوانا بعد أن كانا أعداء الداء فاهبطت الدسائس الانجليزية التى كانت تدس بين العنصرين فبحكمتك قام أخواننا المسيحيون بخدمة الحركة الوطنية ومنهم من قبل التقى بصدر رحب . ومنهم من قبل الاعتقال والسجن . ومنهم من سمع حكم الاعدام غير هياب ولا وجل بل قابل هذا الحكم بابتسامة الفخر (فلتحى مصر) انى عند كتابة هذه السطور لم استطع امتلاك عواطفى ولم أعلم ان كان صدقا أم حلما . ولكن ياهول ماطرأ على فكرى انها صدقا آه مات سعد فياهول موقف الزعماء . آه مات الزعيم الخطير . وقامت كل جرائد العالم ورجالها يقولون عن زعيمنا الراحل الذى فقدناه ويذكرون مواهبه العظيمة . وكيف كان يقود بكلمة واحدة القطر المصرى باجمعه . لقد كان عظيما فى حياته فكذلك كان عظيما يوم مماته فالى غفران ربك ورحمته ياسعد والى جنات النعيم أيها الزعيم العظيم . فالوداع الوداع ياخادم الامة الامين فالامة أودعتك عند الله الى يوم يبعثون ؟

زينب محمد

مصر ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٧ نقلا عن كتاب رسائل الزعيم الراحل

(الختام)

وما علمت البلاد الغربية والشرقية بخبر الفاجعة التى نزلت بالامه المصريه الا وأرسلت رثاءها وقامت جرائد العالم بنشر تاريخ حياته . وصدرت جميع الجرائد مجللة بالسواد.وقرر مجلس الوزراء ان يكون الاحتفال بالجنازة رسميا . وتعطلت دواوين الحكومه واشتركت الوزارة ووكلائها وموظفيها وأرط جيشها واجتمع الوزراء فى بيت الامه يتباحثون في كيفية تشييع الجنازة وبانت طول ليلة ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٧ ولم تنقطع البرقيات ولا الاشارات التليفونيه . وحضر مكاتب روتر الى بيت الامه ليرسل تلغرافات النعى الى خارج القطر وما وافت الساعة الاثنى عشر والدقيقه العشرين حتى حمل نعش الفقيد عظماء الامه عاريا عن كل غطاء الى الردهة الوسطى من طابق بيت الامه وفى الساعه الثانيه بعد الظهر تقدم ضباط الطوبجيه وحملوا النعش على اكتافهم وانزلوه على عربة المدفع . فاطلقت من القلعه سبعة عشر مدفعاً بين كل طلقة وأخرى دقيقه

واقيم السرداق فى المكان الذى يقيم فيه السرداق فقيد الامه فى سبيل الوطن . فكان امام النعش الجنود وفى الخلف الامراء والعظماء والوزراء مصريين وأجانب . وقناصل الدول يتقدمهم نائب المندوب السامى بمناسبة غياب المندوب السامي بلندن . وخرجت لتشييعه الامه المصريه على بكرة أبيها وأراد

الوزراء وضع النياشين والاوسمة على ظهر النعش غير ان حرمه لصون قدمت علما من الحرير وقالت أن العلم المصري أشرف من أى مظهر آخر فنزلوا عند أرادتها

أما حزن السيدات المصريات فكان شديداً جداً. وان أم المصريين ما كانت تستطيع أن تملك روعها

وأن الذي حمل النعش حضرات الشيوخ حفني باشا الطرزى وعلى باشا فهمى .وعبد الله بك أباظه ومن النواب حمد الباسل باشا وعبد الحميد البنان بك ونخرى عبد النور بك .والدكتور حامد محمود ومن الوزراء محمد نجيب الغرابلى باشا . وعثمان محرم باشا هؤلاء الذين حملوا النعش وأنزلوه الى مقره الاخير .وصلى عليه فى جامع قيسون . وكان البنادق تطلق عند دخوله المدفن والمدافع تقصف فى تلك الافياء ولما وضع فى مقره الاخير نزل فتح الله باشا بركات الى المدفن وودع الراحل الكريم وداعه الاخير وبعد ذلك اجتمع مجلس الوزراء وقرروا شراء بيت الامه وانشاء مستشفى باسم الفقيد وشراء البيت الذى ولد فيه وتشيد أبناء المدفن فى بيت الامه على نفقة الحكومه ـ وعندما حضر ثروت باشا من اوربا توجه الى بيت الامه فوراً وقدم عزاءه لام المصريين كما توجه كل من كان فى اوربا من المصريين لتعزيتها أيضا

واذا كان الناس قد جبلوا على نسيان الاحبة فان سعداً لا تنساه مصر إلى الابد ؟

تم والحمد لله على ذلك

لاتنسوا

مطالعة المجلد الاول والثاني من تاريخ الحركة الوطنية اذ يحتويا على تاريخ مصر الحديثة قبل الاحتلال الانجليز تفصيلا وافيا الي آخر حكم الخديوي اسماعيل باشا . وثمن المجلد عشرة مليمات على ورق عادة وعشرون مليما على ورق ناعم فلا يفوتكم هذا التاريخ . فاذا فاتكم فاتتكم فرصة ثمينة لا تقدر بثمن

مؤلفات زينب محمد

مذ كرات وصيفه مصريه

مجموعتها تقع فى عشرة أعداد وثمنها خمسة قروش صاغ تطلب من جميع المكاتب ومجلده فى مجلدين

(١) عاشق اخته (٢) فى منازل . . .

(٣) اعترافات موله (٤) هوانم القرن العشرين

(٥) ضحايا الاقدار (٦) آخر الملاهي

(٧) الفضيلة سر سعادتي (٨) باريس وملاهيها
(٩) زواجى (١٠) عواطف الآباء

أسرار وصيفه مصريه

صدر منها الآن عددان

١) يوميات طالب عاشق (٢) الصاقطة فى أحضان الرزيلة

اسرار هوانم القرن العشرين

آخر مانشر من مؤلفات زينب محمد القيمة وان هذا
ؤلف يقع في ٨٠ صحيفة من الحجم الصغير وثمنه خمسة مليمات
فى هذا العدد مباحث خطيرة عن اسباب سقوطنا واعترافات
لمة لاحد البغاء . بحث عن الزواج فى مصر بحث عن
باب سقوط شباننا وسيداتنا وارفقت هذا العدد بحادثة
برا التى بطلها ابراهيم افندى صابر الملازم ثانى بالجيش المصري
طالع هذا العدد واحذر ان يفوتك